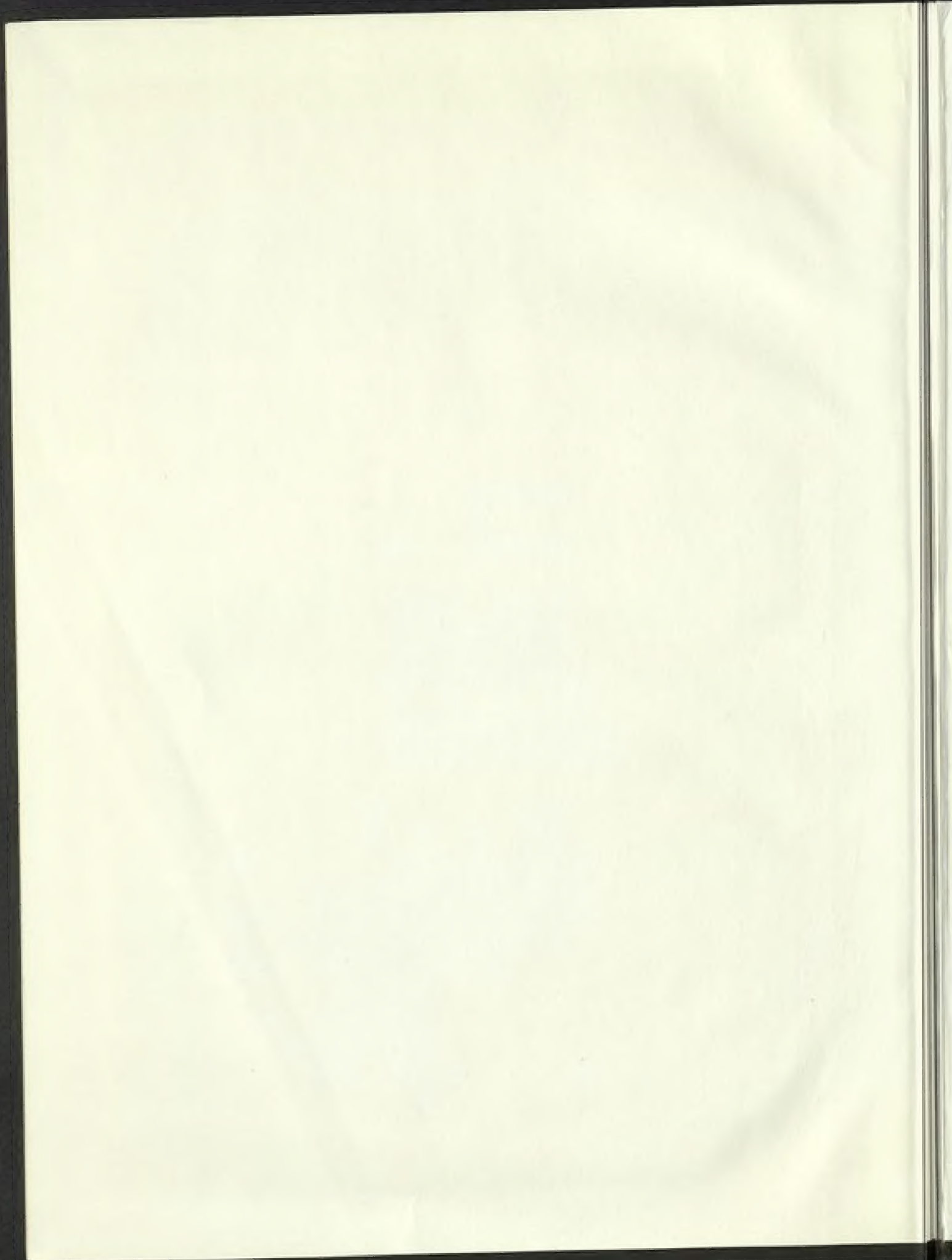
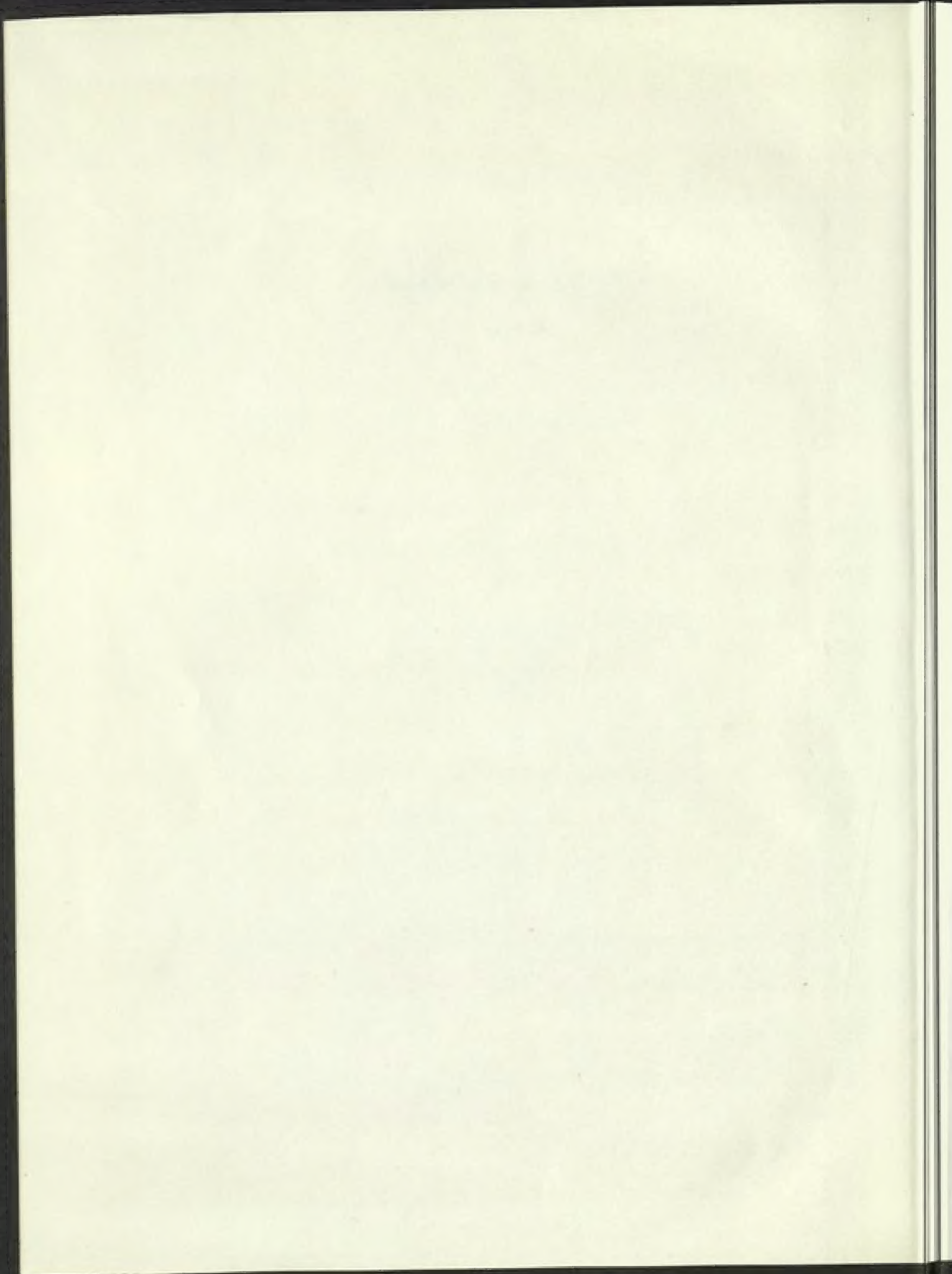


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT











هذه هي
مكتبة الأمانة العامة
دمشق سورية

والمكتبة

مطبوعات الأونيسكو ومديرية الأعمار العامة
في سورية

11

F
913.394
U58sA
C.2

هذا الكتاب
من إهداء الأمانة العامة
دمشق، سورية

سورية

قضايا حفظ الآثار والمواقع الأثرية والاستفادة منها

تقرير لجنة الأونيسكو المرسلة إلى سورية في سنة ١٩٥٢

والمؤلفة من

السادة بول كولار رئيساً

وسليم عبد الحميد وأرمند ود يللون عضوين

الأونيسكو ومديرية الآثار العامة في سورية

ترجم هذا التقرير إلى اللغة العربية
ونشر في شهر كانون الثاني من سنة ١٩٥٥
بتأذن الأونيسكو ومديرية الآثار العامة
دمشق - سورية

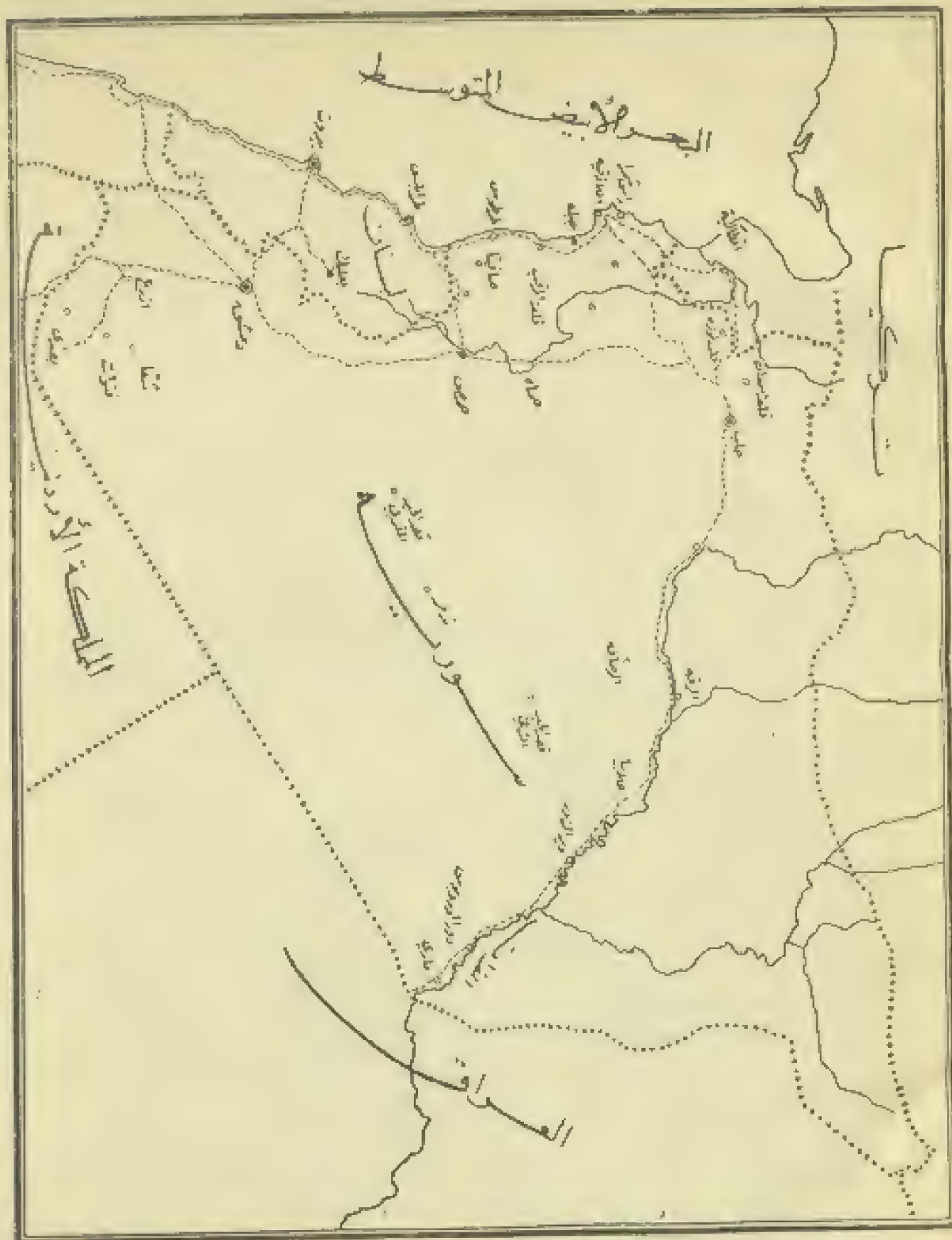
طبع في
مطبعة الترقى بدمشق

الفهرس

1165-13484

١	المقدمة
٢	أفكار عامة
٣	سورية وأبياتها التاريخية
٤	دراسة الأبيات التاريخية
٥	حفظ الأوابد وتربيعها
٥	الملاحف
٦	الاستفادة من الأوابد
٧	بعض المصادر المختصرة
٨
٨	تشكل المدينة
٩	العصر الأيوبي
١٠	عصر المماليك
١١	العهد العثماني
١٣	الغاية بالآبنة الأثرية
١٨	مصادر البحث
٢٠
٢٠	صفات فن بناء المدينة
٢١	تحسين هذه الأوابد وتجميلها
٢٢	مخطط تجميل المدينة
٢٣	مصادر مختصرة
٢٤	الرمز لطلول الكبري في العصر
٢٤	بادية الشام
٢٤	تدمير
٢٦	قصر الخبز الغربي والشرقي
٢٦	الزخرفة
٢٧	وادي الفرات
٢٨	مصادر مختصرة

٢٩	المنطقة الساحلية
٢٩	وادي الناصبي
٢٩	المناطق القديمة
٣٠	حصون الصليبيين
٣١	التضاريس الحالية
٣٢	مصادر مختصرة
٣٣	المدن المبنية في الشمال
٣٣	في البلاد ذات الاحتلال التي لا تخص
٣٤	صفحات من المواقع الأثرية
٣٤	عودة الحياة إلى المنطقة السهلية
٣٥	قضايا اليوم : المحافظة على الأوابد
٣٦	مصادر موجزة
٣٧	المدن المبنية في الجنوب
٣٧	حوران وجبل الدروز
٣٧	المواقع الأثرية والأوابد في جبل الدروز
٣٨	كنائس لوزع
٣٨	بصري
٣٩	مصادر موجزة
٤٠	ماتم





المقدمة

الأثرية الكبرى في سورية هو القطع الأثرية الخاصة التي بعضها هي نشاط البحث
تحتوي هذه المناطق وترميم أو إبداء ، والجلول العلمية التي يمكن التمكن
بها لدى تطبيق المبادئ التي ذكرناها مسبقاً .

وكانت بعثة الامم المتحدة هذه ما خلفه من علم أثري هو السيد بول
كولار استاد في جامعة جنيف وثوران (رولان) ومن مهندسين هو السيد
أرمادو ديكون مدير الأثرية التاريخية في (جنيف) ، ومن الدكتور سيمون
سيد الحن مدير الآثار العام في سورية ، وقد عملت في سورية
خلال عشرة أسابيع من نهاية شهر مارس وأول شهر أبريل من سنة
١٩٥٣ ، وجمعت هناك كل الوثائق اللازمة ، وقد منح السيدان بول
كولار وأرمادو ديكون جميع التسهيلات التي ساعدتهما على إجراء كل
أرجاء سورية ، وعلى شكرهما على كل القضاة الواجب تراسلها .

وبذلك لنا أن نشكر هنا جميع من أعاننا في قعدة وإسعاد ، وخاصة في
دمشق ، وهو مدير مديرية الآثار العامة الذين علينا مساعدتهم مراراً ، لا سيما
رئيس الأثر الذي رافقنا خلال وإدارة المدينة ، وفي حلب السيد فيض
الصغير مدير آثار المنطقة القروية ، والسيد سيجي السويف المساعد
الذي ، وفي بصرى السيد سايك المقداد مرافق الآثار ، وفي السويداء
وكدمر والرقدة ، وفي حماة ، وفي طرطوس والقيس ، وفي الخراسان
الذين استقبلونا بترحاب ووجوبنا بطلب . كما أننا نشكر أيضاً السيد
عدي سبريخ الذي سمح لنا أن نستخدم بعض الصور الجوية من مجموعة
العهد الأثري الأثري في بيروت الذين هذا التقرير ، والسيد جورج
تشارنكو الذي أعاننا من معلومات حماية .

وأخيراً ما نغتنم إلى الدكتور سيمون سيد الحن ، على الرغم من أنه
عسى من أساطير البنية ، أملاً لنا ما أبداه من لطف واستقبال ، والشكر
ما قدم به السورى عملنا خلال إقامتنا في سورية .

لما وجه ورر المعارف في الجمهورية السورية نقل الامم المتحدة إلى
القضية المهمة التي تضمنها الآثار السورية على نشاط البحث ، رغب إلى
هذه المؤسسة أن توافد لجنة تحقيق بهذه إنشائها بدراسة : ١ : الوضع
العام للأثار ، والمواقع التاريخية والأثرية في سورية ، وأهمية كل منها .
٢ : التدابير العامة الواجب اتخاذها لحفظ هذه الأثار والمواقع ،
والاستفادة منها . ٣ : التدابير الخاصة اللازمة لحفظ وترميم الأثرية
والمواقع التي تعتبر أهميتها أو حاجتها الملحة بسرعة العناية بها .

وفي الواقع إن سورية من أهم بلاد العالم بالأثرية الأثرية ، إلا أن هذه
الثروة تؤلف بالنسبة لها حلاً عظيماً ، بل أن العناية بالأثرية وإمكان الاستفادة
منها يحتاجان كل سنة إلى مبالغ ضخمة ، لا تقدر الحكومة السورية
الشاعرة بمسؤولياتها الثقافية عن تقديمها ، بعيدة بذلك الأهمية الواعية التي
تلقاها على ما هي بلادها ، ولا تحصى هذه الأهمية بحسب ما سبق من جهود
عامة ضخمة ، بل في ترحيب سورية الحرة بالبعثات العلمية الأجنبية التي
في اكتشاف أرضها ، فبذلك عن ذلك وقائيع لها دولي حسب في حقول
الحفريات الأثرية . وترى مديرية الآثار العامة السورية أن هذا لا يمكن
أن تشمل فائدة بالية ترميم الأثرية التاريخية ، ولا تحصى أن هذه الأثار تعود
إلى الألفية الخامسة ، ولها من قيمة علمية ، ومعنى تاريخي ، والتربية المذكورة
تأمل أن تنتج نتائج التحقيق الذي نطمح الامم المتحدة الحال في هذا الضيق
لعمال والصبح يقدم تقريرنا هذا موضوعه ، وفيه تف المرحلة الأولى فيه .

وقد سببنا ، وهذا السبب الذي الخط لنا أن نوضح الوضع العام
والخاص للأثرية التاريخية والمواقع الأثرية السورية ، وأن نبين الصور
التي التفت عليها لمساعدة على هذه الأثرية والمواقع ، وأن نوصي
ببعض التدابير التي يمكننا أن توسع العمل الذي تترك مديرية الآثار
العامة يحتاج . كما أننا درسنا المراسلة الفنية لكل منطقة من المناطق



الفكر عامة

سورية وأيقنتها التاريخية

سورية بحسب موقعها الجغرافي بلاد مريوز والجنكك ، وتحتارها وتقاطع فيها الطريق الطبيعية التي تصل الشرق بالبحر المتوسط عبر وادي الفرات والعماسي ، والطريق التي قامت الشعوب البدائية المخلوبة إلى الجنوب وبحر إفريقيا ، وقد احتلتها وتوطدت فيها أمة عظيمة منها سكان بلاد الرافدين ، والمصريون والحثيون ، والآشوريون ، والفرس ، واليونانيون والرومان ، والعرب ، والصليبيون ، والمغربيون ، وكان ذلك خلال فترات قصيرة أو طويلة ، وفيها حدثت عدة من المعارك الفاسدة في التاريخ كحمركي قادش ، والبرموك ، واليوم نجد سورية وهي سيدة نفسها ، في تاريخها الجديد بتأثير مختلف وحسية ثقافتها ، كما نجد في حاضرها العزيمة اللازمة لمهبطها الزائلة .

وتعد ثرواتها الأثرية تعبيراً واضحاً عن تاريخها الطويل ، ويعتبر عليها أن ترى في أولادها تراثاً وطنياً خالداً ، لأن لهذه الأولاد قيمة تعليمية لجعل الحاضر ، إذ أنها تدام في أن توضح له ما جعل في الزمن الماضي عظمة بلاده ، وتذكره بذلك لأن يبقى أي التمس في الزمن الحاضر ، فهي من وجهة النظر هذه حاضرة أن تحفظ وأن تعان . وكذلك فإن الأولاد في غالب الأحيان أهمية أخرى تكونها آثاراً قديمة رائعة ، فهي شواهد تالفة على الأوقات العظيمة التي مرت بها مدينة من المدن ، ولها قيمة بدنية وثقافية ، ومن هذا فإن إشباعها يحتاج الحدود السورية ، والحفاظ عليها لا يهم سورية التي تحملها بحسب بل يهم كل الأمم المتقدمة .

وتتبع المحافظة على الأبنية التاريخية علم سورية قضيلاً مقدراً ، وبوفرة عديداً ، وكثرة شعوبها ، والسيوط الخاصة التي توجد فيها موفى الواقع إنها بوضعها الحاضر تحتاج إلى عناية متعددة الأشكال . إذ أن قسماً منها فقط بقي قائماً ، ومستخدماً كما كان سابقاً ، مما يدعى الدانية به ، وتوجد أبنية أثرية أخرى ، تستخدم حالياً في غاية لم يفكر فيها من إنشاؤها

وهذا ما جعلها تتطور ، وتتغير ، وتتبدل ، وتتغير ، القاية الجديدة ، ومنها أيضاً ما عجز وأصبح أمثلاً ، ومنها ما اختفى تحت التراب ، وهكذا فإن النوع الأول من هذه الأبنية التاريخية تلك عظمته فاعلمه مفتعاً الناس بحسب وجوده على شكل واضح ، أماغية الأنواع التي سردها قايماً معرضة لاظهار تهده وحدها وبوجودها ، ومن الضروري أن يذكر ذلك إذا أراد أن يؤمن لهذه الأبنية الخفية بصورة فعالة .

ولا يخفى أن تشييد أي بناء أثري كان له حاجة معينة ، أي أن وجوده كل أبنية موطع بموقف خاص ، سواء أكان هذا الموقف سياسياً ، أو اجتماعياً ، أو دينياً ، أو عسكرياً . فقد زال أو تغير لا يمكن أن تهمس الأبنية ، أو أن تزل ، وتصبح مدبرة العائدة لا تهمس بزعمون إلى شكل من الحياة بغير الشكل الذي كانت عليه في عصرها ، وبفقدتها ما كان لها من مكانة ، وهكذا فإن مسير أبنية يمكن أن يهزم بحسب تشارب المانع الاقتصادية ، وذلك لأنها تمثل رأياً لا تغير قيمته بحسب الأثرية التي يمر عليها ، ولا يطرأ إليها تصميم إلا من وجهة النظر هذه ، فقد ظهر أن استمرارها غير كاف ، أن العناية بها تتعطل ففقدت تزيده عن الفائدة المترتبة منها ، فهم يعرفون بتركها ، أو إزالتها ، ثم كذلك أيضاً تعرض الأولاد لأن يشعروا أنهم أمام توسع المدينة الفاسدة فيها ، ولا شك أن العمران مطالبهم المتشروعة ، يؤديانهم إلى اعتبار وجودها بغيرها فطابقاً لتنفيذ خطط توسيعي ، والتابعة لتوسيع السج ، وحسين بعض المقارنات ، ومما يمكن فينرجح في كل الحالات المذكورة ، أن يتم كل منها

بوضوح أن احترام الأولاد التاريخية لا يخالف مقتضيات الحياة الحاضرة ، وأن أي بناء قديم حوّل عن القاية التي أقيم من أجلها ، أو عجز ، ثم فقد السب الذي يجعلها قائماً ، وأنه غير عب ، عديم الفائدة ، وأنه إذا أصبح شكل لاش ، وإلزام حسن ، لا يمكنه أن يلبس دوره في جسم المدينة الحرة وفي حياة البلاد .

عنه هو واجب على رتبة الآثار (أما في التي يجوز جرحها نحو
 قتل من ثروات الدولة المدنية والاشعة ، ويجوز أن تنزع قليلاً ، فاعلم
 الخصية في الواجب الثالث : الثغرات الطبية ، ولزم من الأولاد ، وتقليم
 الأظفار ، وسننن الأرملة ، إلى غير ذلك من أمثلة ما تقدم .

إن التراث السوري في الأبنية الطرزانية يزخر على مدى سنة بسبب
الأكتشافات الجديدة التي تظهر في مواقع الحفريات .

وفي الواقع لم يرد عليه كثير من أبحاث العالمة الأخصية منذ انشراح
شباباً إلى سورية وشغلته هذه البعثات فربما لم تفرط أبحاثها
بجودتها من الامداد الضخمة. كما اكتشفت مساهمة جديدة برهان
والفكرات والتي لا تقدر بالذات. فاستفادت سورية ببحر من العلم
محصلة ذلك رأينا الاناري والتي، ونوضح كبرها، وتبقى متاحة
لجميع الذين يدرسون المكتشفات الأثرية لسنة ١٩٥٢ فقط مقدار ما يمكن
أن يكون هذه الثروات (مهمتها) بل ربما أضافت في مستوى البعث
أعلى وعلى أحسن شكل، وتعاوناً دولياً خصباً يمكن أحيانا ان يواد
شامريه كما يسهل إليه السيد سليم بود الحقي منذ عدة قديمة. حتى في ألياف
كل بعثة من البعثات.

ثم يغير إلى قوله أيضاً في الكتب والمطبوعات التي قدمت إليها في

الخبرات ، ووصفت ، وحالت ، وعلق عليها ، والتي يؤلف بعضها لاسلام
مجموعة من المجلدات . ويجب أن نضاف إليها الدراسات المتعددة في الآثار
والتاريخ ، وتاريخ الفنون ، وتاريخ الديانات ، (والأوايد السورية كما
لا يخفى أحد مصارعها الرئيسية) ، والدراسات المتعلقة بالأوايد ، والمدن
والمناطق ، والدراسات - القبول - والكالوجيات . ولا تحتاج
لذا تأكيد على أهمية وحاجة هذه المؤلفات المطروحة التي لولاها لم يكن
الأوايد إلا إشغاع عديم ، والتي ما كان يمكن أن توجد إذا لم تقم
سورية بانهجها . وهذا يمكن فقد كان من أثر هذه المؤلفات أن أصبحت
أوايد هامة جداً ، وبعضها سيتغير بعض التغيير أو سيزول (كما سنذكر
فيها بعد عدداً من الأمثلة على ذلك) معروفة في كل الأنحاء ، كما أنها
عندنا من المواد الخاصة المستخدمة لدى كل البلاد في الدراسات الجامعية .
وكان في ذلك دعاية واسعة وحسنة لسورية .

وتخصص مديرية الآثار العامة السورية قسمها من هضبتها ومن
مواقعها المأثرة المغيرة الأوابد وإقامة الترميم من أجزائها ، وهي تصريف
تعمش وجانب ، عتيق مختار من عترة في كلاً كلاً للاعتناء . وتلك
إرادة مواقعها السورية التي ارتفعت من مبلغ (١٩٣٠٠٠٠ ل. س) في
سنة ١٩٣٩ ، إلى مبلغ (١٠٠٠٠٠٠٠ ل. س) في سنة ١٩٥٣ ، على
الاهتمام الذي تولفه السلطات العليا في البلاد . على الآثار

وعدد كبير من المساجد والمدارس ، وفي حلب خاصة ، في القلعة ، وسور
البرية ، ومطبخ العجمي ، وفي بصرى ، وتدمر ، وقصر الخير الشرقي ،
وفي حمص ، والاذقية ، وقلعة صلمان ، وقلعة الحصن ، وفي عدد من
الأوابد الخاصة التي ترجع إلى العصور القديمة والعصور المتوسطة .

ولا أن حلبان الآثار في سورية واسعة جداً ، بحيث أنها تضع أمام
المؤثر المساواة فضلاً عن قلعة . إذ أن كثرة الأبنية الآثرية (يوجد في
بعض وجدها ١٢٥ بناءً مسجداً) ، ويوجد في رقعة المساحة الواسعة ،
وحجمها الضخم ، وعدم العناية سابقاً بها ، توجد صخوراً من
الصخور . لهذا فلا يمكن أن تكون مديرية الآثار العامة بكل الأوابد .
ويجب علينا أن نعلم لأعمالنا مباحة بتوزيع على عدد كبير من السنوات ،
وأن نختب حاسة إلى مداواة الأبنية التي لا تسمح حالتها بالاستمرار .

ونشأ سموات أخرى من فوضىحة الأوابد الخرافية ، إذ أنه من
الواسع أن المونة لا يمكنها أن تعطي كل ثقافات الترميم ، إذا كانت
لا تملك الأبنية المراد ترميمها . إن مساحات الأبنية المذكورة غالباً من
الفقر ، الذين لا يستطيعون الإحاطة عليها . كما أن عدد من هذه الأبنية
في حجارة بعض المباني الرسمية أو الخاصة الدينية ، إلا أن هذه المباني
تعمل العناية بها مستعدة ، لأنها لا توفر لها أرباباً لها . ومن الغرض أن
رود السلطات الآثرية بأسلحة حقوقية مادية تساعد على التدخل في
صالح هذه الأبنية . فقد أضلنا على مشروع قانون قيد التهيئة ، قد أقيم
على أحدث التقنيات ، وسوف يعرض قريباً على المجلس النيابي للتصديق ،
وفي المادة الخامسة منه ما يلي : « في الأبنية والبلدات أن تخصص
مداً مالياً من مواردها الترميم الأبنية الآثرية التابعة لها ، وعلى
الأفراد التي يمتثل للأبنية الآثرية التابعة لمصورة بالثروة ، والتسجروا
من ذلك طمت مديرية الآثار العامة بإسنادهم المبالغ المزمرة دون قائمة
الترميم أوتهم حائل مدة طويلة ، وفي كل الحالات يجب أن تجري أعمال
الترميم الآثرية في سورية تحت إشراف المديرية العامة المذكورة . »

ونوجد مادة عامة في المرسوم التشريعي رقم ٩٩ المتضمن نظام
الآثار العام في سورية . وهي تكبر السلطات على أن تأخذ من الآثار
مواقع الأبنية الآثرية التي إقامتها سلطات توسيع المدن ، وتحملها على
أن تطلب قبل تصديقها رسمياً موافقة مديرية الآثار العامة عليها . وأما
أن تفقد هذه المادة حرجاً حتى يقع في المستقبل ترميم بعض الآثار
أو تقطيع توسعها كما جرى في دمشق في زهرة صفوة المالك ، وجميع
شكر ، وفي حلب في مطبخ العجمي وسكن التورر .

ومن المرجو أيضاً أن تلحق بعض التدابير مع الآثار التي
يحدثها اللاجئين الفلسطينيين وبعض الفخراء في الأبنية التاريخية
كالمدراس والقرى ، التي أغلقها ساكنيهم ، وإذا تم ذلك لا يمكن

أن يظهر ظهوراً تاماً بعض القمم والجوامع التي تقوم مديرية الآثار
العامة بتوجيه خطط الأوابد التاريخية في سورية .

الناقص

ولا يمكن أن تعد الناحية ، ولا هي الناحية السورية . كقفلت
تعرض فيها الآثار عرضاً دائماً ، لأن الآثار تأتي من كل مناطق الشيف
وتطلب من الدوائر الفنية المختصة في العاصمة عناية فائقة من جهة ومن
جهة أخرى تتوجب العناية بالمكتشفات الغريبة ، ويترتب حفظها بالقرب
من أمانة اكتشافها عن طريق إيجاد متاحف محلية أو مستودعات
إقليمية لها .

وقد نهضت مديرية الآثار العامة لتحقيق ما بين اليدين المتضاربتين
التي تتبادران مع رعايتهم مبرورة ، وتصميمات فوائد حجة يمكن أن
تتضمن في إيجاد متاحف وطني كبير وهي في العاصمة ، وفي مدروم
أشراك كلية المدن السورية في الإقليم بالقضاء الفنية والآثرية ، عن
طريق المساعدة على إلغاء متاحفها .

والمتحف الوطني بعض مدة الفرة ، وهي أنه في خصوصاً لما
أريد أن يحرس فيه . ونحن متأكدون في أورا أن تحول إلى متاحف
العصور القديمة التي لم تكن لتحقيق هذه الغاية ، ولهذا فلتأخر كل
الروعة من نحو المتحف الوطني المسمى الذي أوجد لمرس وإقامة
تشييد ثلاث مجموعات كبيرة من عصور وطوائف مختلفة ، وهي بعض
برحلي التدمري مع راحته الفنية المعجزة ، وكأس دورا التوروس
مع صوره الحضارية التي حينت المعجزة ، وقصر الخير العربي الأثري .
مع سور قلعة ودر خلف بواقد وأراضه الخصبة المتنوعة فوفا ليس له
متبل . أما بقية القاعات ذات الآثار التي أرفق عيودها إلى العصور
القديمة والمتوسطة ، فلها منظمة نظماً دون تنظيم الأبنية السابقة .
إلأنها تحوي آثاراً لا فية مبرة ، ونحبة مظهر . ومنها المتحف الآرامي
المعروف فلم نصب قرية سفيرة ، وحيوة حصن القسبة - البروزية ،
وسور دورا أوروبوس الحضارية ، والتأثير التدمرية الحضرية البيضاء ،
والتأثير المورانية السوداء ، الباروتية ، ومساعد استيعاب الفرة من
شواء ، وسرج خانون نقي الحشيش المعجزة ، والخلي ، والأحيطر
الكرعة المعجزة ، والأدوات البرونزية ، والقطع القاشاية التابعة
لبوعد مختلفة . ونضيق فاعات العرض الحالية بكل هذه الآثار ، لهذا فانه
أسيف حناج غربي إلى المتحف المذكور ، وهو قيد الإنهاء في وقتنا
هذا ، وسوف يخصص بالآثار الإسلامية . وذلك ستوزع أقسام
المتحف توزيعاً منطقياً ، ويصبح بالإمكان تخصيص فاعات لمرس الآثار
عرضاً مؤقتاً .

وقد جعل في متحف حلب جميع المكتشفات الأثرية التي ترقى
صعوداً إلى ما قبل عصر الاسكندر (١). ولهذا المتحف سعة خاصة
وغريبة. لأن الآثار بري مندماً يدخل من بابها تماثيل فرثية ضخمة،
وأساداً وميراناً، وألواحاً حجرية عاتلة تمثل مشاهد صيد وحروب.
وهذه هي الآثار الحديثة والآشورية التي عثر عليها في تل حلف، وتل آخر،
وأرميلان ناس. أما التماثيل التي وجدت في أطلال مدينة ملوي، فإنها
أهمراً حصباً، وذات نسب إنسانية. وتتطلب الأشياء الواردة من رأس
شمرة (أوغريت) ومن ملوي زيارة جديدة. ومنها يمكن أن يبين المتحف
الحالي قديمه، ولا يتصور مع الغاية المستعمل لأجلها، بسبب سوء
الاضطراب وحجم القاعات. وتعالج مديرية الآثار العامة إمكانية بناء
متحف جديد، يمكن المجموعات الأثرية المتقدمة أن تحفظ فيه عملاً
وحياً، وتشرائط سليمة لكي ترض أحسن عرض.

ويوجد أيضاً متحفان أقدميان في السويداء، ويحوي
الأول مجموعة من التماثيل الفارسية والرومانية من القصر السابق. أما الثاني
فله مستودع يضم كثيراً من الكتابات الأثرية والتماثيل. وفي أية
مديرية الآثار العامة أن توجد متاحف أخرى في دير الزور، وحمص،
حمص، وطرابلس أو اللاذقية. ونرى أن العمل في هذه المتاحف ممكنات
تحتوي بعض الكتب العامة في التاريخ والآثار وبعض المنشورات عن
المناطق التي تمثل في تلك المتاحف. ومن الجدير أن يذكر أن مكتبة
متحف دمشق تقدم للمطالعين خدمات قيمة، ومن المفاد أن تكون
مكتبة متحف حلب.

وأخيراً يجدر بنا أن نذكر بعض المنشورات المتعلقة بالمجموعات التي
أقرباً هي ذكرها:

مدير عبد الحلي: معرض المكتشفات الأثرية لسنة ١٩٥٢ في متحف
دمشق، باللغة الثلاث العربية والفرنسية والانكليزية
دمشق سنة ١٩٥٢

معرض المكتشفات الأثرية لسنة ١٩٥٢ في متحف دمشق، بحجة
الوزير العام السابح ١٩٥٤، باللغتين الفرنسية والانكليزية.
أسرة عبد الحلي: معرض المكتشفات الأثرية في متحف دمشق، المجلد
الثاني من مجلة المجلات الأثرية، باللغة الفرنسية.
دمشق سنة ١٩٥٢

(١) لقد عدل من هذا التقديم مؤخراً. وأن المرحوم الفرنسي د.م
(١٣٠) (١٣٠) الصادر في ١٩٥٢/١٠/٢٠

على أن يحوي المتحف الوطني بدمشق الأجنحة التالية:

جناح للآثار السورية للفترة القديمة، وجناح للآثار السورية في العمود
البرانية والرومانية والبيزنطية، وجناح للآثار العربية والإسلامية وجناح للآثار
الحديثة.

كما يحوي متحف حلب الأجنحة التالية: ثلاثة أجنحة تليها أجنحة متحف
دمشق الثلاثة الأولى، وجناحاً أيضاً كذا في المدينة القديمة لطلقة النهائية.

سليم وأسرته عبد الحلي: الكاتوج تصور أوضاع الروماني - البوناني في
دمشق دمشق، باللغة الفرنسية، دمشق سنة ١٩٥١.

سليم عبد الحلي: إعادة تشييد جناح من قصر المير الأول في
دمشق دمشق، الجزء من مجلة المجلات الأثرية.

اللغة العربية، دمشق ١٩٥١.

ميشين إيكو شار: متحف دمشق الجديد، بحجة للوزير، الجزء ٥٠.

٥٦ - سنة ١٩٤٦ من ١٩٥٠ - ١٩٤٤.

٥٠ - ف. برون: دليل كنيس دورا أوروبوس، باللغتين الفرنسية
والانكليزية، بيروت سنة ١٩٢٩.

لغ. بولادو روترو: متحف حلب الوطني، حلب ١٩٣٢.

صبيح الصواب: حلب، دليل الآثار، حلب، سنة ١٩٥١، ص.
٢٩ - ٣٣.

م. ريس فوفان: كاتوج متحف السويداء.

المنشورات من الأوابر

يمكن لجوهر مديرية الآثار العامة في دراسة الآثار التاريخية.
وجلبها أن تشر. إذا فهمت هذه الجهود، وحيت. ويجب لذلك القيام
بدراسة دقيقة تعتمد على وسائل التربة والسياحة، وتنظيم المدن، حتى
يعتقد كل السوريين عليها ويهتمون بها. ويجب لذلك أن يبين بوضوح
أن الأوابر ليست عبثاً فقط، بل قيمة إيجابية وسية تدرك الإنسان.
وقد يوشى بنجاح في هذه البداية، ويمكن أن نتابع ونكمل في عدة
نواحي، فمن الناحية الترميمية يمكن إخطا الاهتمام بمرات البلاد القليلة
ببعض المطبوعات المصورة، وتفتح المدارس وإلقاء المحاضرات. وبالخط
أنه توجد بعض المطبوعات المفيدة عن دمشق، وتدمر، وبصرى،
وحلب. ويمكن بسهولة الاكثار منها. ويجدر أن نحوي
سوراً جيدة، وأن نترجم إلى عدة لغات، وقد قامت مديرية الآثار
العامة أيضاً بتنظيم عدد من معارض الفنون المحلية في متحف دمشق.
واستحدثت لغات قصر الخير بحقل رائع، ثم أجرت في هذا القصر
تجربة ناجحة جداً بإبدانها مدرساً ضخماً هو معرض المكتشفات
الأثرية التي عثر عليها في مناطق الخليل السورية في سنة ١٩٥٢. وقد
لاقى هذا المعرض نجاحاً كبيراً يستحقه كل الاستحقاق، ورأينا بأعيننا
إنجيل الزوار على مشاهدته، وشاهدنا كثيراً من هؤلاء الزوار الذين
يشمون إلى طبقة قليلة، يتجمعون أمام الواحيات الزجاجية القديمة
لعرض آثار ملوي، ورأس شمرة، والرافة، ويهتمون بها. ثم يطوفون
بأبواب المتحف وفناءاته الأخرى، ويقدرون الثروات الأثرية المتجمعة
فيه. ومن المفرد أن تقوم الحكومة السورية التي تشجع تأليف طبقة
من المختصين بالآثار وترسل البعثات إلى البلاد الغربية، وتبذل جهوداً
جادة في حقل التعليم، بإعداد دروس خاصة في تاريخ الفنون، وفي
الآثار السورية الوطنية في المعاهد العالية وفي المدارس الثانوية.

ويمكن إذا شجعت السياحة أن تساهم حركتها إلى حد كبير في حياة الأوايد التاريخية ، وذلك عن طريق إقناع الناس بأن هذه الأوايد يمكنها أن تكون موروثة من الموارد الاقتصادية النافعة ، ومن المزم أن تقول إن ثروات سورية الفنية لم تستأثر بعد ، وذلك لأن الحركة السياحية في هذه البلاد ما زالت ضعيفة جداً ، بسبب فقدان الأجزاء اللازمة لها ، وبسبب انعدام الدينامية . ولا ريب أنه إذا وجدت مؤسسة سياحية نشيطة تستمدد الدولة لأمكانها أن تقوم بعمل خصب جداً . ويمكننا أن نصلح بعض أجزاء الطرق ، وأن نبنى بعض الفنادق العاملة البسيطة في إمكانية غزالة ، أو أن توجد (منازل السياحة) التي يمكن التواري أن نجد فيها إمكانية سكني بطله ويصغر في جو لطيف . وبذلك يحفز الأجانب إلى هذه البلاد التي لها بأن واحد جمال طبيعي أعده وأوايد رائعة . ومن المنطوق أن تتلوه الوصول إلى مناطق ساحرة جداً كدمشق ، وقلة سمعان ، وقلة الحصن . وبإذنا أنه ليس من الصعب تنظيم السياحة ، وتوجيه تياراتها إلى سورية عن طريق البر والبحر والجو . وأملنا مثل اليونان التي نظمت السياحة في بلادها خلال عدد من السنوات ، فقامت اليوم بها هذه الحركة ، وأصبحت تدر على اقتصاداتها بأرباح حسنة .

أما تنظيم العمران وتحدثت عنه بعض من التفصيل لدى كلامنا عن دمشق وحلب ، ويمكننا بالقول في هذا المقام ، إننا نأسف لأن الأوايد القديمة ما زالت في غلب الأحياء بعد كمصادر غير مرغوب فيها لدى منظمي مصورات توسيع المدن وتنظيمها . على حين أنها يجب أن تكون أجمل مواضع

هذه المصورات وأكثرها جذبية لدى تجديد الأحياء القديمة ، وفي الواقع إن تنظيم الأوايد لا يتعارض البتة مع نمو مدينة ما . بل أنه يصح على أساس البحث قضية يحذر بواسطتها بالانفاق مع خبير مختص من الخبراء التابعين لمدرسة الآثار العامة . وإذا جرى ذلك بشيء من الفن والذوق انتج عنه أهمية كبرى للمؤرخين الشغوفين بآثار الماضي ، ولجندل الناس مشغوفين بالآثار ، وفتح أعلام أعينهم مواطني الجليل في عصفه الآثار ، وجعلهم ينظرون إليها كزينة لا بد منها لجلباتهم اليومية .

بعض المصادر المتوفرة :

- ر . ديسو : الطوبوغرافيا التاريخية لسورية في المصور القديمة والمتوسطة . باريس . سنة ١٩٩٧ ، بالفرنسية .
- ر . ديسو : سورية ، لوندرة . ١٩٤٧ ، بالإنكليزية .
- الفاول الأتري ، سورية - فلسطين ، باريس ١٩٣٢ ، بالفرنسية .
- ب . جي : تاريخ سورية ، لوندرة ١٩٥١ ، بالإنكليزية .
- أ . مونيكان : مادة سورية موسوعة (دبل - الميكرويدا) ستوتغارت ١٩٣٢ ، بالألمانية .
- أ . لاماس : سورية - موجز تاريخي ، بيروت . ١٩٢١ .
- كتاب أصول الحفرات الآتية بلغة الإنكليزية ، إصدار المؤسسة الدولية للماون افكري ، باريس ١٩٤٠ (نشر عسفا)
- الكتاب باللغة الفرنسية في مجلة الموزيون . المجلد ٤٥ - ٤٦ ، باريس ١٩٣٩ .
- ج . سولاجه : فن العزرة في سورية ، مجلة الفنون الآسيوية ، المجلد الثامن ، ١٩٣٤ . من : ١٩ - ٥١ ، بالفرنسية .

١ - شكل المدينة :

تعد دمشق ، عاصمة سورية ، في حدود الصحراء ، وسط سهل القوطة الواقع الذي يصب نهر بردى في موقعها الجغرافي ، وفي بانها ، وحدتها ، المصنوعات الأساسية لحيايتها ونموها . وتحدث تركيب أحيائها ، ومحاور بيوتها وأوابدها وشوارعها ، تحت الصور المتعاقبة التي نشأت فيها ، ومن تراثها السياسي ، وسكانها ، ونجارها .

وقد تألفت لحياتها الحاضرة في زمن إقطاع سورية بالامبراطورية الإسكندرية . إذ قامت آثار في شرق المدينة الأرمينية القديمة ، مدينة على نموذج إغريقي ، بخطوط منظمه دعت إليه الخطاط المعمارية . ويمكن عد هذا الخطوط مثلياً حتى يومنا هذا ، لأنه تألف من حارات مستطيلة ، طول كل منها نحو ١٠٠ متر ، وعرضه نحو ٤٥ متراً .

وبما اشتركت سورية بعمارة الامبراطورية الرومانية استفادت دمشق دائماً حضوري ، وحديث فيها أعمال التجديد المعماري خاصة في زمن الامبراطورين (سيفير) و (كلارا كلا) . واكتسبت الشوارع أهمية تتناسب مع مواقعها فبدأ من أبواب سور المدينة ، و (الباب الشرقي) الحالي هو جزء من الباب الشرقي القديم ، الذي كان يقع في نهاية الشارع المتقدم . وقد أعيد تركيب منحه من فسات قوس (منحنى قديم) (١) منذ مدة قريبة ، في جزء من الخطوط القديم لهذا الشارع .

(١) هذا القوس من القوس الذي شيد عليه مديرية الآثار العامة سنة ١٩٤٧ في حي الآمين ، وكان منطوقاً بنحو (٢٠٠٠٠) من سورية الدارع الحالي ، وقد تمهته ، وتكسنت بجراً صغيراً وأطاحت تركيب وترتيبه ، بعد أن رصته إلى حذاء الطريق .

كما أن الأطلال الواقعة في غربي المسجد الأموي هي بقايا معبد (جوبيتر دمشق) ، وتتألف من أعمدة كورنثية كانت لأحد مداخل المعبد ، ويرون هذه الأعمدة بعض الأقواس ، وما تبعها من أطراف ضخمة مدمورة .

وبلغت دمشق البنية إلى روما ثم إلى بزنطة ، حتى طمسها العرب ، فبعضوا عنها في ظل سلالة الأمويين عصمة الامبراطورية الكبرى ، ومركزاً سياسياً وثقافياً ودينياً كبيراً . وكان فيها (الجامع الأموي) الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك فكان المسجد الولي القديم ، وكثيرة القديس يوسف المحدثان . وقد وفق البنسسون الشاميون خطط المسجد مع مجموع أطلال الأبنية القديمة ، وأدخلوا في تركيب بنائه بعض أجزاء هذه الأبنية ، ولقدروا مشاهد القديس الواقعة ، وأطاحت الصنائع الفنية القديمة على أطراف مسجده . حتى هذا هذا المسجد آية من آيات العز والاشهر ، وتاج بيته لشتهار وديع حيث مسجد عمر في القدس . وبنا جاء زمن الفيلسوف فقت دمشق مقبلاً كعاصمة ، ورأت منها أكثر الامويين ، وعملت منشآتهم ، وأزيل سورها الحصين لكي يضمن لخطوات المسلمين إحصاء مدنها ، ومنع ثوراتهم ، ومنع عليها عهد من الفرس والاضطرابات ، ونددت خلالها ثقافات الحرف ، والازدهرت حياتهم الثقافية ، واندلج المدينة جسماً متسككاً ، تهره الإدارة التي كانت السلطات العليا القائمة ، وتدير شؤون المجتمع ، وانقسمت إلى أحياء مستقلة ، يشبه كل منها مدينة صغيرة . وكانت هذه الأحياء تتألف من عتاك تسببها الخاصة ، وفي كل منها مسجد وحمام وأسواق ، ولكن واحد حدود يربط ، وشيخ تحت تهره قوت ثقافية .

ونج عن هذه الظروف عام جديد الملكية ، ومفهوم جديد للحياة المدنية ، وتسكنت هبات جديدة للذبح عن حقوق النقابات الخاصة كانت لها صفات دينية ومروية .

٢ - العصر الديري :

وقد الأنايكة المنجوقيون ثم السلاطين الأيوبيون من بدم ببناء الأهمية الثقافية والدينية إلى دمشق ، وأرجعوا لها صفاتها العسكرية . وذلك لأنهم كانوا منصفين لإحسان شأن الإسلام المسي ، والدفاع عن الشام ضد الصليبيين . وقد توارثت أحياء المدينة في هذا العصر بحسب المذهب الدينية ، فمركز المذهبين في العهد التركي من المدينة القديمة ، وأقام اليهود في جنوبها الشرقي ، وشغل المسلمون كل ما عدا ذلك ولا سيما ضوايا الغربي . وهناك نشأت المدارس الكبيرة والأحياء العامة . وشهدت القلعة . وقد استخدم في بنائها أسس السور القديم ، وبعض المعالم . واشطرت عن المدينة بعض الأحياء التي كانت بعيداً عن النواة العمرانية القديمة . وشهدت المساجد والمدارس في المناطق الدينية ، وحول جدرانها حيث يتجمع الخواص للدراسة والتعب . وما زال قائماً من هذه الأحياء نحو خمسين بناء ، وقد عجز بعضها ، ويهدم بعضها الآخر ، وتبدل معالم قسم كبير منها ، وأولها تمت إلى أحياء جديدة .

و (يارستان نور الدين) أعظم أحياء هذا العهد في المدينة القديمة . وهو أحد المستشفيات المشهورة جداً في العالم الإسلامي . وله أهمية كبيرة . وقد يؤسف أنه أحيط بدم من الأحياء الحديثة ، وله باب ذو زخارف فنية عربية ، قولها المقاربات ، وهذا الباب مصراعان جميلان ، ولوحة حنية كلاسيكية ، ووراءه تعبر منظر فنية صغيرة مضلعة متلفعة ، قائمة على غنى غرونية فوقها المقاربات الشامية ، التي تشاهد أيضاً من خارج البنا . كما هو الأمر عند زينة بالقرب من بغداد . وفي حوض اليارستان (يوانان جميلان ، وبعض غلاف الزخارف الخيلية ، ونوافذ ذات زخارف جميلة بدوية .

ولوق (المدرسة النورية) الواقعة إلى الجنوب من المسجد الأموي فحة تقابل قبة اليارستان . نادر أن باب هذه المدرسة لا يشبه باب البناء المنقسم . إذ أنه يتصف باستوائه على موضوع زخرفي جديد هو الفناح المجري الذي تشاهد أيضاً فوق باب (المدرسة الخلدونية) ، التي تعد آية من آيات البناء العرب والتجويد الديري القوي . وقد رسم محيط هذا الباب ، وهذا

حسب أصول العمارة السائدة آنذاك في سورية الشامية والسلاجية . ويشغل الشجع العظمى الشرقي حالياً بقايا البنا . وقد أسلج برص . وأحرقت فيه بعض المتعلقات بمتابة قاتلة . وهو يؤلف مع المدرسة الظاهرية (وهي المكتبة الوضعية حالياً) التي كانت بيت والده صلاح الدين ، ثم جعلها الظاهر بيبرس مدرسة ومكتبة . ومع المدرسة النورية (مدفن السلطان صلاح الدين الأيوبي) تحالي الخلف الأموي ، مجموعة مبنية من الأبنية المرفوعة التي لما زالت تحفظ بكثير من المقتات الفنية . والكتابات ، والمقنصات . والأبواب ، والنوافذ القديمة .

وعلى هذا فإن الحياة الفنية في عهد نور الدين وصلاح الدين في دمشق ، تكتسب بأنها مشاركة من عهد بلاد الرافدين وسورية الشمالية .

وتقوم تحالي نواة المدينة القديمة في المنطقة الواقعة بين النهر وشوارع بغداد الجديد ، مستضافاً منها (مدفن سيد الشام) (سنة ١١٧٣ هـ) . وهو أفضى ، وله قبة قائمة على صفين . ومدفن (السلطان حسن) ذو القبة المضلعة ، وأربعة وخمسة حصية وتصاوير جميلة ، و (المدرسة الشامية) ، ونحوي أخرى مجموعة جميلة منحوتة في دمشق ، وكتابات فنية ، وبعض النوافذ الزجاجية الفنية . وهناك أيضاً (قبة ابن المنصور) التي حلب ، وهي بناء يشابه الأبنية الخيلية الماسرة . ويقع إلى شرقي المدينة (جامع النورية) . وقد ألبس على شكل جامع بني أبنية وعظيمة . وله أهمية كبيرة للشعاليين عمارته ، وأروقته ، وبنائه . ومخاربه ، ونوافذه الزجاجية .

وقد تألفت من السالجية على سطح الجبل حول مجموعة من المدارس والمدارس والمساجد التي حشرت اليوم ، أو أنها لم تستقيم شكل مرص . ويشاهد في موقع جميل من نور برص عدد من الأعمدة كانت جزءاً من أقدم مدارس السالجية ، وعدد من الأوابد التي بناها أميرات بلاط نور الدين أو خلفاء صلاح الدين . وسطر هذه الأوابد عدنان عليها قباب من الآجر .

وبعض هذه القباب مضلعة ، وبعضها مربعية ، وقائمة على رقبين مربعين بأقواس صغيرة أو عوارض مستوية أو مزدوجة . ونحوي كثير منها أمروحة خشبية منحوتة ، ونوافذ زجاجية قديمة ، وعوارض حجرية عليها كتابات رشيقة ورموز .

وفي (الجامع الظاهري) التي (سنة ١٢٠٣ هـ) زخارف مهمة جداً ، وهريفة في نوعها . وهذا الجامع من أقدم المساجد الأيوبية ، وذكرنا غنظله يشغله الخواص الأيوبية . ويشاهد

حول مسجد بعض الأعمدة القديمة التي استعملت في وظيفتها في الأثرية، كما يشاهد في أبواب الحرم السبعة عوارض خشبية منحوتة مزينة بخلاف خطية مخفوفة. وقد احتفظ بأكثر من هذه الأبواب ويكتنف من الخشب القديم. وفي داخل الحرم عدة نوافذ زجاجية قديمة.

ومن الواجب ذكر (المدرسة الأموية) التي أنشأها الأمويون وكان جالوت ودفعت فيها. ولها باب مزين بالقرينات. ويبدو اليوم هذا الباب كأنه عظيم لا أخيف عليها من عناصر متفرقة أخذت أعمدة الرواق. ويتوجب رفعها والاحتفاظ بالشكل القديم، وأحجار قوسه، ومنصة كروية، ذات صفات فردية لا تتكرر من بعض القصور.

وأشد عذرا الخراب فيها مد، واتسع كثيرا، وأضيف إلى الأكراد في زمن صلاح الدين، وهي الخارجون في نهاية القرن التاسع عشر. وفي وسطها حائلا طليع على المدخل الذي سماه المصلح سليم سنة (١٥١٨) حول صرح الصفي المنصور. ويحوي هذا المصالح أيضا قبر الأمير عبد الله المملوكي. وفيه بقعة جميلة، وتربية الواح بدسة من الخشبات القديمة.

٣ - عصر المماليك :

ولم تكن دمشق لمطورة والتمتعها طويلا في قاعة عصر المماليك، وأخذت تتدهور بها الأبنية العصور بالشجرات الثينة. وقد ساءت الظروف لتسبب في توثيق ما قبلها بالماء الغربي. فحصل ارتباط شارب مدينة حلب بمناطق شمالية مع وادي الحلبية، ومدن حمص ودمشق والهندية اللبنانية. وعرفت في كل مكان عصورها الفنية كالقبة الخيرية، والأبواب النعاسية، والأشعة والأواني الطينية البنية، والأشياء الزجاجية. وتنا من هذه القابلية الصقلية أن السهل أسواقها، والكثرت تجاري القلعة في منطقة (سوق الخيل)، حيث بني (جامع بولس) سنة (١٢٦٤) .

وقام سكانها المستعمرون والفرار أسرى يتدفقون مثل - لاطين القاهرة، ويبنون عددا كبيرا من المدارس والمدائن. وقد انتشرت هذه المدارس خاصة على طول طريق الحج، التي تنبع من طرف المدينة الجنوبي إلى مكة، حتى يستفيد أسلافها المولى من هذه الحاجج حين مرورهم ببلدهم. ولذا على طريق هذه الطريق

في حديد هو حي الميدان، وكانت صفته تتفق مع طبيعة تجارة الحج الخاصة. وقد ألف هذا الحجر ناحية المدينة طوله ثلاثة كيلو مترات، متصلة بحسم المدينة بمجموعة من الأسواق (الدنانير) الواقعة خارج البواب الغربي من السور، بين حي الشانور وحي قصر الحجاج. وقد كثر في الميدان قرية القديسات القديمة، وهو يشي بباب الله الذي كان يخرج منه الحجاج للسير نحو الحجاز. ويطلق لفظه على الأبنية التي بنيت في هذا العهد، والتي ما تزال قائمة في الأحياء المذكورة. حتى أن مديرية الآثار العامة استجبت جميعا، على الرغم من أن بعض الملاكات والبركة غير المسجلة، أعيدت قائمة لأنها تساهم في حفظ الجو القديم الخاص، ولأنها تحوي عناصر فريدة، قد لا تظهر دوماً بسبب التغيرات الكثيرة التي طرأت عليها. أو بسبب ما تقابل عليها من إصلاحات سبلة أخفت مزاياها.

وفي الذكر هنا لا بعض الأبنية التي تثار بصفتها فريدة خاصة. مثل قرية الأفراسية (جامع العجسي)، الواقعة في أول حي الميدان. وهي مدرسة أسست لتعليم القرآن، وقد دعى فيها الشاعر الفرنسي (الفريدون) الشهير سنة (١٣٤٨)، وواجهها جبهة، وأضيف من صفوف من الأشجار البيضاء والصفراء متناوبة على شكل متوازي، حول العناصر زخرفية منسجمة مع بعضها البعض كليا. وهذه العناصر كثيرة، وفيها الأطلال، والكوات، وباب مزين بخلاف القبة. والحسنة الباب فيها على شكل الصدفة، ومقرنات بدسة، وكتابات خطية، وقوس تألف من قطع حجرية متداخلة، والواجه مستطيلة ذات زخارف نهاية مخفوفة. وقد أصبح الفايون المستعملون هذه الزخارف فيما بعد، وورثوها بعدا من الأبواب الأخرى.

وقع إلى جنوبي هذه القرية قرية يطلق عليها اسم (المولى الشيباني)، ومشارتها بسيطة غير أنها جميلة، وواجهتها ذات مداليك منحوتة تحتها جيدا، وفيها باب مفرد، ومداليك موصولان بارزة مشتركة متألقة من ثلاثة صفوف من الأشجار الأوسط منها من أحجار مدائلك، وفوق المضادة التي تحوي منها كنوز مستديرة، وتغطي البناء بقبة قائمة على رقبة توزع حولها ست عشرة نافذة.

وفي وسط الميدان تقوم (قرية سراك)، وهي من نفس العصر (سنة ١٣٤٩)، وتخطيطها أكثر تعقيدا من تخطيط

الحرية السابقة ، ودين واجهاتية القاشاني الأتريفي المزال حول
بابها القرائن والخروف بخطوط مربعة أيضاً ، وعلى أطراف هذا
الباب المنقوشة مقروصات أيضاً ، وبلاطها فيها أثبت عوارض
التوافد تقسم سطح الجدار المثلث بالأحجار المدككة ، على شكل
منايع ومزدوج ومتماكس . كما أن أحجار الأقواس المنقطة
على شكل محدب حول الكوات المستوية مكنونة ، وتؤلف
إشعاعات على شكل فواريز . وكذلك فإن العوارض مربعة يناسر
هندسية ونباتية . وأجبراً فإنه يحيط بكل هذه العناصر زخرفة
مكتوبة كتائب ميا وتوجد بينها .

وقد انتشرت العناصر النباتية والزينة المستخدمة في القوام
المقدسة ، كثير من التوازين والأنسجام ، على واجهات الأبنية
المتأخرة ، ولم تستعمل بكثرة والاسند على سطوحها ، حتى
أصبحت هذه السطوح تشعراً بكثير من الأنم القوي القريبة
والفتك ، والاعتماد التي ، التي تطبع آخر عصر الممالك
بها .

عند أول الزينة (النباتية) المبينة سنة (١٣٧٧) مركبة
تركيباً جيداً ، ولها قباب قائمة على مقروصات . ولواجهتها باب
مقراض واقع في محورها ، وزخارف جميلة حول كواتها تتألف
منسقة أفقية ، قبابها داخل الباب ، فوح مزين وخلاف مربعة
مربعة وقشائرية نباتية حول الرمز الملكي المثلث .

وتتألف هذه الصفات أيضاً في (المدرسة الرشيدية) ، التي
حول في مدخلها حالياً بناء طقفي ، وحصب جزء من واجهاتها
أجنية مثلثات مائكة جديدة ، وشجب علينا أن نذكر أيضاً
غير ذلك الممالك المتأخرة (المدرسة العباسية) و (المدرسة
العباسية) في نهاية القريفة الشارع المستقيم . (والمدرسة
المراية) . وأما هذه الأبنية الأثرية بولغها المنارة ، ونصب
قبابها ، وحشوب مآذنها الخجلة ، في حلق أحواء خلصة لحسن
مشور هذا الشارع .

ومن منذت هذا العصر في المدينة القديمة ، وفي أحيائها
الزاهية ، عدد من الأبنية الأثرية الأخرى ، وكما ذكرنا اسم
(جامع بلقا) الذي يذكره تعاليمه بتخطيط جامع بني أمية .
وتتألف فيه المقارب والوافد القروضة المبينة على شكل جميل
فلسفة ، كما تتألف فيه مناطق لرخارف الحسية المقورة ،

والتوافد الزجاجية ، والأبواب القديمة . ومن القوام أن بطون
جمال هذا المسجد ، وأن يحسن كل التحسين . وحشة وأجرامه
الخارجية .

ويعود عهد بحومة من الأبنية القديمة المبنية إلى زمن (تشكر)
تألف المثلث في بلاد الشام . ولم يبق من المسجد الذي جعل
أحد بلا مندرته الجبلية وبها الترافل ، على أثر الأعمال العمرانية
التي قامت في شارع النصر . غير أن الزينة المزخرفة التي شيدتها
زوجته والتي تعرف باسم (القبة الكوكبية) ما زالت قائمة
في الشارع المستقيم ، كما تقوم غير بعيد عنها (دار الخليل
الشريف) .

ومن آخر أبنية هذا العصر مثلتان جميلتان (القمني ، وعضام)
في سوق باب الحامية ، وتختلفان بتخطيطهما الداخلي ، ورسوماتهما
الغنية . وكذلك مثلثة (جامع المثلث) ، حيث يتألف تشكر
مخاربتها بواسطة الأحجار السوداء ، حطة متصلة حول محارها
ووردها .

١ - العصر العثماني :

وحدث في آخر عصر الممالك أزمة اقتصادية شديدة في
دمشق ، راد في وظائفها أكثر التخريب التي تركها (تيمورلنك) .
والمكرام ليارت تجارة الشرق الدولية من سورية ومصر بسبب
اكتشاف البرتغاليين لطريق البحيرة حول رأس الرجاء الصالح .
وتم تسند دمشق لتخطيط الأبنية أصبحت في عداد مدن
الأهماطورية العثمانية ، التي وسعت لها حدودها الاقتصادية
والسياسية ، وفتح نظام الإدارات الأجنبية المراقب المركزية
أسلم التجار الأوروبيين ، كما أن السجيج إلى مكة الذي كان
يتألف في دمشق صار يتألف منسباً قمين الوسائل السكينة
لجوارها ، وجمع مؤنة وأثنته ، قبل احتلال السجرام .

وأدت هذه الظروف إلى بناء رباطات كثيرة ، حول مثلث
لقوم أروقتها على عهد ، ولها دكاكين ، وأصطبلات في الطابق
السفلي ، وقاعات لقوم في الطابق العلوي . ولقدت المدينة تحديداً
الستراتيجية والعسكرية . وأصبحت تحصيناتها العسكرية عديدة
القائمة منذ تشكر الأحياء الخارجية ، وأملت العناية بها ،
ومني خندقها ، وبدأت قلعها بأنهم . وصار اليأس الحاكم

يقع في السراي خارج السور في حي القنوات نحو الارستقراطيون
الآراك ، وبسطوا الادارات المختلفة .

والقرب من هذا الحي شيدت المدرسة الامبراطورية
(السليمانية) سنة (١٥٥٤) التي بناها المهندس التركي الشهير
(سنان) باني السلطنة في القسطنطينية ، و (السليمانية) سنة
(١٥٦٦) التي شاعها مهندس فرنسي . وتوفي عالم المدرسة
بفتحها المسلمون بمساند ، وما يحيط به اثنين الفين الكبيرين
من قوات لاهلي الأروقة والقرب ، وبالجانبين القروطين لاهليها
الرشيقين ، وتنظيم أحواض الماء والانتشار والأزهار في باطنها ،
حراً حياً جداً تنفتح مع فوق القسطنطينية الذي السجم دول
صغيرة في رجلي دمشق .

ويشاهد في (المدرسة السليمانية) عدد ضخم من المواضيع
المعمارية والزخرفية الخاصة بهذا العصر . ومنها قنصل الممر ،
وجعل ألواح الخشبي على الجدران ، والمطبات العلوية فوق
الأبواب والنوافذ ، وتزين الأقواس بالأحجار السوداء والبياض ،
المناقبة ، واستخدام المقرنات بكثرة ، وتنظيم الخراب على
شكل الأساطيف المتناوبة ، والمعارض المستقيمة المربعة ذات
الاشكال الهندسية الغنية المعقدة . وقد أصبحت تخطيط الأعمدة
على اشكال مختلفة بجملة ، وسارت ثوب الأجر والأزرق ، كما
في أسواق الأعمدة وأنظمة قواعدها ليست أنظمة خاصة مذهبة ،
وامتلات المطروح بالمنايك المونة المتعاقبة .

وقد شيدت هذه العناصر في مجموعة المعابر التي أنشأها
الوالي درويش باشا ، وأحاطها المعبرة القائمة في أول طريق الحج
خارج المدينة ، وهي (جامع القرويشية) الذي تتعاقب صفوف
أحجار السوداء على صفوف أخرى بضاء ، وترتفع فوقه مثله
المسلطة العالية بظلال قشاني أحمر . وإلى جانب المذبة توم
قبة كبيرة يحيط بها عقد من القباب الصغيرة . ويصل هذا
الجامع بالقرية المجاورة بقوس يمر بالطريق التي تمر من تحته .
وتوزع الرسوم والاشكال والألوان على مستويات المسجد حيث
هي كبيرة جداً ، ومن ذلك قبة القرية الكائنة على قرية ليس لها
شكل منتظم ، وقد انتقلت انتاجها وعلا هذه الانداحة رأس مذهب .
وإلى الجنوب من هذه المعبرة يقوم (جامع سنان باشا) الذي بني في
أسواق باب الخابية ، وتجمعت فيه الصفات والعناصر الفنية التي تقدم
ذكرها . فزى فيه المذبة بالقشاني الأخضر ، والقبة

الكبيرة ، والأقواس الحديدية ، والتيجان الهندسية الخ . . .
وتوقع هذا الجامع في جو هذا الحي ، صفة رائعة حقاً لأنه يؤلف
قطة مركزية بين الأسواق وطريق الحج .

وقد شيدت في إطار المدينة القديمة بين الجامع الأموي
والشارع المستقيم الروابط المختلفة وحمامات حديدات . وأثير
هذه الابنية (حن الخرب) الذي أنشأ درويش باشا ، ولجت
فيه التقاليد المعمارية السورية بمنجبة بالتقاليد المعمارية التركية .
وواقع انه بناء متساوياً جداً ، وتحت الأروقة باحة الداخلية ،
وتقوم بمحوها من القاعات في طابقه العلوي ، ويصل بين هذه
القاعات رواق صلب ، وتلجها لجان منظمة على صفوف ثلاثة .

ويقع أيضاً في هذه المنطقة من دمشق (حن الخرب)
ويخص أن مسعته الكبيرة المسقوفة طمت ، مقام الناحية المكتوبة
في بقية الخانات . كما يخص بقية الكبرى التي المروعة على
حيوب بين الأقواس . ويشاهد هذا التخطيط أيضاً في (حن
سنان باشا) الذي (سنة ١٧٣٣) . وفيه فضاء كبيرة فوقها
فناء عظيم ، وتحت هذه تأثيرات الجيوم الواسعة المعبرة
مع تأثيرات القرون في المداخل السوداء والبياض ، وفي الأقواس ،
وباب جويها . وقد بنى أسد باشا والي دمشق وأثير الحج خلال
حقه الذي قام أربعة عشر عاماً ، حلاً جديداً ، وفصراً ضخماً
بين هذا المكان وبين الجامع الأموي .

وبأن أسد باشا وأحية بذكره تأليفها فن عمارة مدينة
الدمشق خلال عصر النهضة . وير أنها تمت بصلة الى التقاليد
الفنية السورية الناجية ، وفقد في صفة باشا ، وانتفاء مواهبها
الزخرفية ، واختيار موادها ، وتناهد أيضاً كل العناصر القديمة
بجدة ومنوعة في بناء قصر العدل سنة (١٧٤٩) . وبالإضافة
في هذا القصر التوزيع التقليدي للبيوت الشامية بجموعتين من
القاعات الصغيرة (السلامك والحرمك) . وبنا فيها من باحات ،
وأروقة ، وألوانين ، وأحواض الماء ، ونوافذ .

وقد استمرت دمشق حتى يومنا هذا شأنها منذ أقدم عصور
تاريخها ، على فعل ، وتحسين المواضيع الفنية والتقاليد التي نتجها
إلى واعترافا وتقليد فيها ، بعد أن تسير على طريق التجارة الكبرى ،
التي تصل بمصر كل أجزاء المنطقة الواقعة في شرفي البحر
الأبيض المتوسط .

وقد توخينا من دراستنا المقدمة عن الشكل المدينة وعن أحيائها ، المختلفة أن تبين صفات ووظيفة عدة مجموعات عمرانية ، يمكن إذا رمت وطلعت ، أن تحسن مناظر الأبنية الأثرية ، وأن تمنح مدينة دمشق بكاملها أهمية وجاذبية كبيرتين . ولا يجب أن يسي عن ابنل أنه لا توجد في النواة القديمة ، أية معزولة عن غيرها يحتم القائلون المحافظة عليها فقط ، بل يجب الاعتقاد أنه يوجد في عمارة هلم بنفسه ألغة الصور ، ونحدد فيه التاريخ ، وحدات السكان ، وحاجاتهم .

ولا ننسى أن لكل أبنية قيمة إيجابية لأنها أثر في . كأن لنا قيمة أكبر بكثير إذا كانت قائمة في مجموعة من الماشات الأخرى ، التي يمكن أن توسع الفاية من بينهما وتزلفها ، والسبب مجموعها وأشكالها . ثم أتت كل أبنية تكون في مجموع أبنية المدينة ، كحجر صغير من أحجار لوح من التيسا . ودير كانت قيمة هذا الحجر الصغير قيمة ، كان ما يحول لوح التيسا ، قيمة ما هو مجموع الأحجار الماشاة في تركيبة .

وما لا شك به أنه توجد عناصر كثيرة ليس لها أية قيمة ، ومناشآت طفيلية وغير سجيئة في الأحياء القديمة . لأن المدينة القديمة أمرانها وعليها شأن كل جسم من . هي أنب إنشاء هذه الأسوار ، يحتاج إلى دراسة دقيقة جداً ، وتعتبر مجموعة عناصر التواحد تعديلها أو حذفها ، بحيث أنه لا يجب منها إلا الاحتفاظ الذي تقتضيه طرق النقد المستخدمة في إصلاح الآثار وفي التقيب عنها . ولا يمكن بصورة مبدئية أن نقول على الفور ماذا يتوجب عمله في كل من الأحياء القديمة . (د لا يمكن أن نحط بمناشاة هذه الأحياء القديمة والفرجار على الخطط . شوارع وتخطيطات ومباني وساحات جديدة . لأن البدء في عدم مجموعة من أبنية أحدها يمكن أن يضر جلالاً ، وأيضاً ، وأيضاً قيمة التي تراها الأثري ، وتوسيع فضاء ترحيوية وثنية . وهذا ما ينتج حياة البلاد القوية والروحية أهمية كبرى . ولا نموزنا الأمانة الدالة على ما نشأ من معوجات وأخطاء ، عن وجود الأوابد أثراء تهمة الخططات التنظيمية ، على الرغم من أن وانتهى هذه الخططات توخوا احترام الأبنية التي يحتمها القائلون . ولا تذكر

الأمكن جلفع نذكر الذي لم يبق منه إلا بقاء ومناشاة البارزة على التاريخ .

ولاحظ ضرور كبير أنب الأحياء الجديدة في دمشق اكتسبت طابعاً وجمالاً خاصين ، وأن هذا الطابع جعل بطور بحد . كما شهدت أبنية جديدة ، وكما استغاثت هذه الأبنية من التجارب المامية والسجيت مع جو دمشق ، ومع عاداتها ، ومع الخلق . وعلى الرغم من أن الشوارع الجديدة سرحت أكثر من القديم ، وأنه رصفت على جانبيها عمارات جديدة ، بسبب أن تراكيبتها الطاعنة تم يوسج على أنها مجموعة من الامتد المصلي وأن لها صفات اللاداء . ولكن الزائد الماشاة عن جمع عناصر زخرفية ، بعضها مهندسوها غاملاً ، فإن هذه الميزات سوف تتجمع مع مجموع المدينة ، في تكبر الأشجار الزرونة في الحدائق وعلى أرصفة الطرقات ، وعلى سكانها الخضراء الفراشات الكبيرة ، وتكعب شيئاً من حدة نور دمشق الساطع .

لير أنها لا يمكن أن نفي حقيقة أن أهم النتائج التي نشأت عن تفهيم الخطط التنظيمية الجديدة ، وعن تقسيم الأراضي وتوزيعها ، في المنطقة الممتدة بين طرف القلعة الخوري ، وبين الشوارع المنتظم . إذ أنه حل محل عن الأسوار والفراشات المتعرجة القديمة التي كانت تعرقها التناورات ، عناصر صغيرة منتشرة على شاكفة رفعة الشوارع . ونتج من ذلك أن الأوابد شاعت ، بين الأبنية ذات الطوائف المتعددة . وسجعت على هذا الشكل قباب ومئمنة (جامع مرويش بلدا) من جوار البنا السعي المرتفع الذي شيد على جانب . ويمكن أن نكرر هذا الاعتقاد تلقاء ما جرى في حوار عدة أرب آرية . وخاصة (بارساان نور الدين) الذي يمد من أهم أوابد دمشق ، وتستظهرها طرافة .

ولا يجب تشجيع البرعة المدنية . وهي تلة إلى مساوئها تطالب أمولا بأهله . إلى نقل أبنية يوسداً عن المحيط التي لذات به ، وذلك عن طريق هدمها ، وإعادة إنشائها على مساحة ما من مكانها الأول ، كما نكر في ذلك وأمدو الخطط التنظيمية ، تخلياً ما حول المسجد الأموي .

إن الأسوار بما فيها من رياضات وحدائق وسوايح ومدارس

مديرية لأشاد العامة
مخطط ومشرق



تؤلف في غالب الأحيان جنباً متأسكاً ومنهجياً في عمارته وفي
وظيفته . ويجب المحافظة عليه بمجموعه ، لا يبدد من أجزائه .
كما يتوجب لإكمال الطريقة المستعملة حالياً في تسجيل الأبنية ،
بأن تؤخذ بعين الاعتبار المجموعات المعمارية ، وألا يكتفى بحماية
بعض الأبنية المنفردة ، ومن اللازم أن يفهم بوضوح أن الناحية
من ذلك ليست إيفاء كل محاولة تستهدف تحسين حي ، أو تطويره .
وإنما يراد فقط بيان حاجة هذه المجموعات المعمارية إلى قواعد
وإلى طرق وأساليب تختلف عن المبادئ السائدة في مكان
المحافظة الفنية ، حيث لا ينظر غالباً إلا إلى مصالح الناس الفردية ،
وإلا إلى المصالح المباشرة . فكان من اللازم مثلاً أن يمنع قيام
بيت حديث ، جانب الواجهة الجنوبية للعمرة الظاهرية (المكينة
الوطنية حالياً) . إذ أن هذا البيت الحديث له لون وأشكال
مبتذلة وجارية . كما أنه يمكننا أن نسرده مثلاً ثانياً . وهو أنه كان
بالإمكان عدم السماح ببناء عمارات حديثة في شارع السلياني القريب
من خان الجرك . وذلك لأن الأبنية الجديدة في الأحياء القديمة
يجب أن تدرس دراسة دقيقة جداً ، تشمل ألوانها ومناظرها ،
وتتوخى تحسين وضعها الحاضر ، وإظهار الأوابد التي هي عناصر
الجمال في مجموع المدينة ، واعتواناً لمناظرها . إن ميار الفائدة
المادية الناجمة لا يمكن أن يطين تماماً على مستلزمات الثقافة والفكر .
ولهذا فالتصحيح الهندسين المعماريين المتمشقين ألا يبحثوا
ثقلاً ما يبدل من أموال في إقامة مبادئ على شكل التجميل ، أو
في شتى طرقات واسعة ، في الأحياء القديمة ، كيفية استئثار أراضي
هذه الأحياء ، التي لا يعطى ريع بيوتها الحالية إلا قليلاً من
المال ، أو كيفية الاستفادة من الحمامات أو المدارس أو الحدائق
التي لا تساوي وادائها شيئاً .

إننا نرى أيضاً في تنظيم القلعة أهمية كبرى يمكن أن نكتسبها
تoward المدينة القديمة من الملاحظين الدينية والعمالية . وبملاحظ
أن جوان هذه العمارة تظهر هنا بجملاء . ويمكنني لذلك أن أفكر
بمجموع واجهاتها الطبيعية وبأبراجها ، وبجمال بابها للفرص في
مدخلها الشرقي . ولا يعني أنها تستخدم ككنة وسجناً في يومنا
هذا ، ويجب إذا أريد أن يستفاد منها ، أن ندخل مرافقها
الداخلية في حياة المدينة ، وذلك عن طريق إيجاد حديقة عامة
فيها ، وأن يوصل بين هذه الحديقة وبين شوارع المدينة . كما

يمكن لمنفس مبتكر أن يوفى بين عماراتها الضخمة وبين حاجات
دائرة حكومية . ومن الجائز مثلاً أن تنشأ فيها مدينة جامعية
وأن يجعل في أحد أقسامها بيتاً للطلبة يحوى مساكن للاساقفة
والطلاب القراء عن دمشق ، ومكتبة ، وصالات للقراءة والمحاضرات
والمارض . ويجب إعادة إقامة الصلاة في جميعها ، وتخصيص
بعض أجزائها للتسليّة الجامعة عن طريق إيجاد سبيل ومقهى ومطعم
الخ . . فيها . ثم أن عزل واجهتها الغربية عن الأبنية العظيمة
التي تحيط بها بفتح شارع النصر الواسع ، منظوراً رائعاً .
والخلاصة إن القلعة إذا أصلحت كما ذكرنا ، أصبحت بدلاً من
أن تكون سائلاً كما هي الآن دون تطور المدينة ، نافعة للحياة
العامة ، في شكلها الجديد ، ولاغت زوايا المدينة والحولة
الأجنبية .

ثم إن الجامع الأموي هو أهم أوابد مدينة دمشق . غير
أنه يبدو اليوم مزيجاً من عناصر دينية وبنائية ذات قيم متباينة ،
بسبب ما أصابه من كوارث ، وزلازل ، وحرائق . ومن
المستحسن أن يتابع ويوسع برنامج إصلاحه وإعادة قيمه إليه ،
الذي تميز على تحقيقه مدبرينا الأوائل والآثور العالمان . وذلك
بواسطة تفتيش بموارد مالية مناسبة ، لكي يفتح هذا المسجد
مظهراً حسن لثقافتنا بأهميته الفنية ، والتاريخية ، ودوره كمرکز ديني
كبير لأحياء سورية .

وتظهر اليوم عناصره القديمة (الفيضاء ، والأعمدة ،
والخرف الحسية ، والحراب ، والنية الخ . .) كأنها منفصلة عنه
وكأنها ميتة . حتى يظهر أنها لا تمت بصلة إلى المسجد . وأنها
ثقلة ، وتحمل كثيراً من الأعباء . لهذا فانه إصلاحه يجب أن
يتوخى تحسين هذا التراث الفني والتاريخي ، وأن تسبقه دراسة
فنية غائبة ، بتدوير قيمة كل عنصر من عناصره تديراً صحيحاً .
وأن يقوم هذا الإصلاح على أعمال ، غائبة ، جعل هذه المجموعة
كللاً عضوياً ، وإرجاع وحدتها وانسجامها إليها . ولا ريب أن
ذلك معقد وصعب ، ويحتاج إلى تعاون عدد من الفنانين والعلماء .
غير أنه إذا تم صنایع اللازمة ، لا يمكن أن يبعد إلى دمشق
روعة أكبر بناء فيها .

ويمكننا أن نشير حسب انطباعاتنا الأولى ، إلى العناصر
التي يجب أخذها بعين الاعتبار ، في برنامج يمتد منه تحسين

هذا الخلع وإصلاحه ، ولا يخفى أن الأقسام التي لها أهمية تاريخية كبيرة فيه ، هي العناصر المنحدرة من العصور القديمة كالأسبانية ، والبيجان ، والأخفاف ، والكثافات ، وبعض أجزاء الحدائق والأقواس الخ . وذلك لأنها ذكريات مدنية زالت ، ويجب المحافظة عليها لقيمها الأيضاحية والثقافية . كما أن لها قيمة زخرفية تليها على أشكال أطلال وبنايا عظيمة ، ولا يمكن التمسك ، أن يجر أي رأي يستهدف إصلاحها عن طريق إكمال ما بنفسها .

كما إن الأقسام المنحدرة من البناء الأموي الأول (الأقواس والبيجان والفسيفساء) تقدم هي الأخرى أهمية تاريخية وأثرية من الدرجة الأولى . ويضع إصلاح هذه العناصر على سبيل البحث ، قضية صعبة ، لأنها أجزاء من الجسم الحي للبناء الحالي ، ولا يخفى أن قيمتها الفنية عظيمة جداً .

ويبين داخل الحرم ، في القسم المتوسط من البهو المستعرض ، تصانيف العصور التي مرت على الخلع ، والإصلاحات التي طرأت عليه . غير أن هذا المكان لا يؤت أهمية ما . ويحيط الزائر أنه عبارة عن حارس يفصل بين جناحي البناء . ويتبدو آثار الفسيفساء على حدائقه التي متسعة ، وفقدت قيمتها ومؤهلة لطبقات كاملة ، على أساس الحدائق الأبيض . ونصحت التوافد القديمة القليلة ، نوافذ حديثة كثيرة ذات رسوم مبتذلة . ويرجع دي ألوان سارحة . كما أن الألوام المرمية على دعامه الأربع المركزية الضخمة ، ليست على شيء من الأصحية . وكذلك قوت للحدائق الخشبية نفس الغلل البديعية . وهو لا يملك وحيدة أو تضجماً ما ، مع أن منظره قد نزلت فيه أشجار الزخارف المرمية ، دون الأركان القرائنية القاتلية . وعلى الرغم من أن التوافد الثلاث الداخلية ذات رسوم دقيقة ، ومن أن السقف مذهب فإن كل هذه الأشياء لا تنفع مع غيرها من العناصر .

ويحيط إلينا أنه من المناسب أن يلقى أيضاً الحدائق في هذه الحارة (من البهو المستعرض) من الخلع ، ومن الأقواس ومن رتبة القبة ، لكي يظهر تركيب الاستيعاب الأصلية ، كما يبدو ذلك في بعض الجهات . ثم يجب استبدال التوافد العلوية ، وتغيير لون عوارض السقف الخشبية ، وإيجاد شكل لائقة المسجد بالنسبة الشكل الحالي ، ولا تغفل البلاد السورية من فنانين

اكفاء قادرين على القيام بأعمال ذات قيمة . وإصلاح الجامع يقدم لهم أملاً طويلاً الأمد ، ويسمح باستدامة التقاليد الفنية التي تعاني شيئاً في سورية خلال العصر الحاضر من جراء انتشار الآلة ومزاحمتها .

ويمكن إنشاء ما قلنا عن حرم المسجد لدى البحث في صحنه ومدخله الغربي وأبوابه . إذ يلاحظ أنه توجد إلى جانب آثار لها قيمة كبيرة ، كشاهد الفسيفساء ، والبيجان الأسبانية ، وقبة الخزانة ، والمآذن ، والأبواب ، عناصر أخرى ليست لها أهمية ولا معنى ، كالأبواب الزجاجية والسقوف الحديدية ، والألواح المرمية الخشبية ذات الأسلوب الكلاسيكي الحديث ، وبعض أقسام أرض الأروقة البليطة بلاطات من الاسمنت المسلح .

ويلاحظ أيضاً في المدخل الغربي أنه توجد (بقع) واسعة يضاء إلى جانب ألواح الفسيفساء الثمينة . وتدل هذه البقع على عدم صلاح عملية الترميم التي أجريت في هذا القسم . وعلى العكس يمكن الإشارة إلى الأعمال التي نفذتها مديرية الآثار العامة بكثير من العناية في القسم الشمالي الشرقي من أروقة الصحن حيث طبقت الأقسام الخشبية مما كان عليها من فسيفساء . بلون قريب من لون هذه الفسيفساء ، ولا شك أن ذلك حل جيد ، على الرغم من أن الطلوح الخشبية تبدو غثة إلى حد ما . الفسيفساء المتأخرة ، وربما أمكن إحراز نتيجة أفضل ، إذا مزج اللون المستعمل ببعض مسحوق الرمر الذي يمكنه أن يعطي عليه شيئاً من اللطافة .

ومن الواجب أن توسع أعمال الإصلاح حتى تشمل كل أجزاء المسجد . وقد ذهبت المكاتب الفنية في المحافظة إلى التصميم على إزالة عما حوله بإيجاد شوارع واسعة في كل أطرافه الخارجية . ويجدر بالحكم على قيمة هذا المشروع ، ألا يبعد عن ذهننا ، أن المسجد لم يكن ليكون عمارة منزولة عن غيرها من الأبنية ، وأنه بقي إشعاعاً تاريخياً ، ووثائقاً على نحو ما حوله ، وعلى من الممارات الخارجية عنه ، كالأطلال الضخمة القائمة عند القديم والكنيسة القديمة ، وعلى القرب والمدارس والخانات والأشرفاء المجاورة .

فيوجد مثلاً في جهته الشمالية خمس أبواب لها أهمية كبيرة وهي : (المدرسة القادلية أي الجامع العلمي العربي حالياً) التي ذكرنا أن لها مدخلًا جميلاً فيه مفتاح ملحق ، وأنها آثار رائعة للعمارة



اليدان () بما فيه من مجموعة معمارية جميلة في مقبرة الباب الصغير)
وهي سوق ساروجا والصالحية . وكنا قد درسنا خصائصها
تكملة عن تاريخ المدينة . ولا يمكننا في هذا المقام إلا أن
نكرر نفس الملاحظات في أفضلية الأبقار على الخو الخا من هذه
الأحياء .

و خلاصة القول يتحتم علينا لكي نتفادى أي سوء تفاهم أن
نستوي البناء مهندسينا العمرانيين الشبان المأخوذين بالشوارع
المریضة المستقيمة ، إلى سفة الطراقة والطابع الخاص الذي
تولينا الدفاع عنها ، وإلى الأهمية السياحية التي يمكن لدولة غنية
بالتأثير الفني أن تعيد منها قاعدة كبيرة .

وفي الواقع إننا نعتقد أنه يوجد في العالم قليل من المجموعات المعمارية يمكننا أن نقدم جاذبية ورومانسية وطريقة شأن المجموعة الهندسية التي تحدثنا عنها . غير أنه يجب أن نوضح أن ما نقصده بالطرافة هو هذه القوضى الظاهرية التي يبررها ويبرر سبب وجودها وجمالها أنها نشأت عقولاً وبصورة طبيعية ، واعتقت في كل حال ، على أحسن شكل ممكن مع الشروط التي كانت قائمة قبل نشوئها . وسارت بذلك تعبر عن كثير من العواطف والحياة ، وهو ما يدعو هذه العناصر المختلفة لأن تخرج بعضها بشكل مرضي ، وأن يصبح كل عنصر منها لازماً للآخر . والخلاصة تلك هي صفات الطرافة المعمارية في أبنية دمشق ، التي نرى وجوب المحافظة عليها وضرورتها تحصيلها ، وتخليصها من كل مظاهر الإهمال وقلة العناية والقدارة .

ویمکننا متابعة شرح وأبنا هذا بذكر أهمية وصفات حي

أما ما يتعلق بالأهمية السياحية فننتا لم الذكر أنه يجب لصحية
حياء المدينة وتطورها ، وإخضاع تنظيمها لظروف الأجانب الذين
يتمتعون بالأشياء الثمينة والمحبة ، وأما أردنا فقط أن نشير
إلى أن السياحة تدعو إلى تحسين وتطوير ما يستحق في المدينة
أن يعرف ، ويعجب به ، ويجب .

س. هيدالغو، و. غ. دياز : متاعف عشق الأثرية بالفسات
الثلاث العربية والأفريقية والانكليزية
مطبوعات مدرسة الآثار العامة ،
سنة ١٩٥٠

١ - دولوري ، روم ، لايت برنم : طيفاء جامع الأموي في دمشق
بالأثرية ، أوابد (بيروت)

المأخذ (٣٠) ص ١١١

١٩٣٩

١ - إيكوشار و ك . لوكور : حكايات دمشق ، جزماني بالفرنسية
المعهد الامرنسي دمشق ، بيروت

١٩٤٤ - ١٩٤٣

ج . حداد : دمشق وسورية الجنوبية ، دمشق سنة ١٩٥٢

د - هارون ، الموسوعة الاسلامية ، مادة : دمشق ، ليدوباريس

سنة ١٩٦٣ ، ص ٩٢٦ - ٩٣٤

ل . جرسيد : دمشق ، دراسات في فن البناء ، بالانكليزية ، أربع
مقالات في مجلة (آرس إسلاميكا) ، الأجزاء

الصادرة في سنوات ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ،

١٩٤٦ و ١٩٤٨

الأكاديمية الأيوبية في دمشق ، أوبية أجزاء بالفرنسية ، المعهد الامرنسي

دمشق ، باريس ١٩٣٨ - ١٩٤٠

ج . سراج : الأبنية التاريخية في دمشق ، بالفرنسية ، بيروت ،

سنة ١٩٣٣

ج . سراج : تاريخ عام لمدينة دمشق ، بالفرنسية ، 2٢ الدراسات

الاسلامية ١٩٣٤ ، ص ٤٢٦ - ٤٨٠

د : محط دمشق القديم ، بالفرنسية ، مجلة سوريا

الجلد (٢٦) ١٩٤٦ ، ص ٣٦٤ - ٣٨٨

ك . ووترمر و ك. ووترمر : دمشق (العصر القديم) والعصر الاسلامي (بالانكليزية

جزماني . لينزيغ وراين ، سنة ١٩٦١ - ١٩٦٤

حلب

صفحات من بناء المدينة

رمز مدينة حلب هو قلعتها التي تتوج ، كالمها ، (قلعة)
شعبية ، عصبية متأخرة من الطال كجنت فوق بعضها مثل أقدم
المدن ، ولتتس هذه القلعة بحدودها المنيعة ، ومنحدراتها
المالية الصاعدة الممتدة على الأرض الطبيعية بتنوع من الأعمدة ،
وقد تمكنت المدينة بواسطتها خلال تاريخها الطويل من أن تقوم
الاحتدات التي زعمت حولها الخراب والدمار - ولتحت أقدام
هذه القلعة تجددت على أشكال من بناء متطو من عصر لشدة الخراب
لتجسدة من أسرار الصعرا والبحر .

وفي الواقع كتبت مدينة حلب عمداً بكونها ، بفلاح الطرق
والبدالات ، وقد أدت الحروب إلى إغاثتها نحو عدة مرات ، إلا أن
هذا النمو يتسبب بظلال غامض ورسوخة قوية ، والسجام شديد ، حتى الرعم
من التغيرات التي أحدثتها الظروف السياسية في المدينة . ولم تتحلب حلب
خلال العهود السلوقية والرومانية والبيزنطية من توسيع علاقاتها
والتر شيرتها ، فأصبحت آنذاك الحاضرة الحقيقية لسورية الديارية - وحتى
حين أن السلطانية استغلت بأسبقية لغوية لها عدت مدينة أنطاكية
والصناعة والعمل .

أما في فن البناء فلها ثأ في مدينة ادن السورية لم تحافظ على
هذه الحياة ، دون أسفاف والمخططات - لأنها تراث كيف تخرج المصالح
الخطي الهندسي الفشلت اليونانية بفاهيم روما الضخمة ، والمطرد
المرن الإغريقي لبلاد الرافدين الشرقية ، وهي على عكس بلاد
الرافدين القديمة في مواد البناء والاشكال والمنشآت من

الطوب والحصار ، فلها تستخدم الأحجار الكلبية بطرق
وأساليب رائدة لتجسد ، فيها أشكالاً ومواضيع متفقة مع مقتضيات
من البناء ، كما أنها تستمر في تركيب أبنيتها وطبيعة وصفات
هذه الاحطار التي تدغم بفهوم الاحمال الفنية ، كما فعل
ميشن بياضها التي لبست الحياة في الفراغات البنائية مع الديار
التيون والبحرات والقوارات .

ومن الصعب على المرء أن يصعب خلال بحث موجز آثار
حلب ، وأن يضم بينها تصنيفاً مبنياً على خواص أبنائها وأساليب
هذه الأبنية . ولا يخفى أن ج . سولفاجه فلم يدراسة حقيقة
حولها ، ووصفها في بحثه عن نحو المدينة التاريخية ، كما أحصاها
في قائمة طويلة . إلا أن ذلك لا يمكنه أن يستوفي كل ما يجب
قوله في مدينة وآثارها الفنية وأبنيتها الأثرية وطبيعة حياة ، ووصفات
حالية يمكن أن تستكشف على أثر كل دراسة جديدة ، ولقد
كل محاولة لتوسيع مدني أو ترميم .

ويلاحظ أن عدداً كثيراً من الأبنية القديمة في حلب قد
حولت من التاليت التي أنشئت من أجلها ، وأنه قد استخدمت
في عدد من الأبنية الأخرى مواد بنائية وعناصر زخرفية
كانت في أبنية أقدم منها . ومن علة أن المسجد الكبير الذي
يرجع ساقه بشكاه الحاضر إلى زمن المماليك ، يحوي في تركيبه على
عدة عناصر أقدم من هذا الزمن . كما أن ، لذاته الجملة الشائعة
التي تعود إلى سنة (١٠٩٠) تعد بشكها وتخرافها من الأوابد
الرئيسية للدراسة فن البناء الإسلامي في سورية . وفي بناء التسليح

بحسن تستند القباب ، الغربية على الشيطان القديمة . وكذلك فإن أقدم مدرسة في حلب وهي مدرسة الحلاوية كانت مكتبة قديمة ، وأن الكاتدرائية القديمة استحوطت إلى مدرسة إسلامية ، وأن جامع التوبة مترن بعطف قديم . ثم إن القلعة تستند على منشآت ويزنطية ، وتستخدم بعض قاعاتها وسهرتها التعليم . كما أن سور المدينة الحصين يرفق عمده إلى عدة عصور كما يستبان ذلك من حججهم مداسيكه وطريقة نحتها . ويومئذ زمن السفلية المنخفضة منها إلى العهد اليوناني - الروماني ، أما الأبراج الزائفة فإنها كلها من زمن المايك .

ويلاحظ أن فن البناء وأشكال هذا الفن ، وطرقه ، وروحه ، ظلت ، كما ظلت المواد نفسها لدى إشكال مواضع جديدة ، اتصال مع التمرائط السياسية والدينية أو المبادلات التجارية . وعلى حين أن القلعة والسور والمدارس ودور اندراوش تحتل لنا حلب كمنظر على حدود البلاد الإسلامية في سراع مع الصليبيين ، ومع الشبيبين ، كان اتساع أرجائها المدينة وأسواقها يشهدان على أهميتها التجارية التي نشأت عقب تعمير انطاكية ، كما يشهدان على أنها ورثت عن هذه المدينة دورها كتركز التجارة التقليدي مع بلاد فارس والهند .

وقد ازدهرت حلب خاصة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر . وتدلنا على ذلك بيوتها الخاصة الجميلة وقاعاتها المنظمة التي توالف مع أسواقها ومجراتها وجوامعها مجموعة بناية قوية . ويبدو الفرق في الزينيات (الباروكية) الذي انتقل إليها من إيطاليا وفرنسا وإسبانيا ، على إطارات أبواب هذه البيوت وتوافدها وزخارف سفوفها ، كما تتجمع المواضيع التي استعارتها من القسطنطينية خاصة في أبنية الجوامع ، ومدارس المدينة والخمروية والمباني والأشحية ، وفي الآذن المالية الخرومطية .

وخلاصة القول إن مجموعة الأوابد الحلبية تسمح لنا ، بما لها من النسيج والجمال دون انقطاع ، أن نتابع تطور المدينة التي ، وذوقها ، وأفكارها ، الأدبية والفكرية ، وتنظيمها التجاري . وهي تتوالف مع أوابد القاهرة القاعدة الأساسية لكل دراسة جامعة عن فن العارة الإسلامية .

نحسب هذه الأوابد وتجميلها :

ويجب لنا تعدد القضايا التي تثيرها المحافظة على الأوابد بما في ذلك

من ترك الغاية التي أنشئت من أجلها . ورميمها ، ووظيفتها المبنية والاقتصادية ، ومقتضيات الممرات ، والحياة الحاضرة ، ففكر أنه من الضروري تأليف لجنة من الخبراء في مدينة حلب ، تكون مهمتها أن تسمى النصح إلى السلطات العامة . ويجب أن يضم هذه اللجنة بعض العلماء والفنانين ، ويمثل المصالح الفنية الخاصة ، وأنت تدرس الوسائل اللازمة لحل التراث التي يسلم في حياة المدينة الحاضرة ، وأن يوضح صفات هذا التراث ، وأن تظهر بطلان ما فيه من جلال .

ولا يخفى أنه يوجد في حلب عدد من الأوابد التي أنشئت وظيفتها الحية ، وحملت تدخل في مضمار الأشياء الأثرية . وتؤلف هذه الأوابد في غالب الأحيان شيئاً قليلاً بسبب ما تتطلبه من أعمال الصيانة والترميم ، دون أن يحصل منها تسطحها على أي دخل . ومما يمكن فيجب إبقاؤها ، والمحافظة عليها بسبب ما يمثل فيها من قيم ثقافية ووطنية ومعنوية . ولا يمكن أن ينظر إليها كأنها أشياء ضاعت الفائدة منها ، وأنه يجب أن تترك إلى الفقراء الذين لا يمكنهم أن يقدموا اجرة سكن حديث ، أو أن تجعل مرصفاً لصناعة لا تستمر إلا قليلاً . وإذا غفلنا ذلك ، فالتا نكون قد تخطينا بسهولة عن إمكانية تخليد وجودنا في تاريخ مدينتنا ووطننا .

ولا شك أن الإدارات الرسمية لا تأخذ بعين الاعتبار هذه المقتضيات ، وترى تحت ضغط الموازنات السنوية ، أن تراث المدينة التي بقي جدياً ، وأن مبادئه والمحافظة عليه مشغولان ، وتكفان غالباً . إلا أن الأبدية كالشجرة التي تحتل قيمة إيجابية ، حتى ولو أنها غير مشجرة ولا تتحلل فيما مضى آنية واضحة . ولا نرى أنها عنصر من عناصر الجمال ، وأنها كانت تسلم في حياة الوسط الذي هي فيه ، إلا إذا قطعت وحوات إلى سطح لتوفود ، وهكذا شأن الأبدية التي عندما تنزع لا يبق منها إلا أحجارها وإلا عليها الذي يمكن أن ينشأ فيه بناء آخر .

ولا شك أن الإدارات العامة في هذا العصر ، في أية مدينة تجتاز طوراً من أطوار نموها ، تجهد كل الجهد لتضفي عناصر جمال جديدة عليها . ونحن نرى أنه يمكن تأمين ذلك ، إذا انفتحت هذه الإدارات إلى الامكانيات المتوفرة في الأبنية القديمة . ولا يمكننا إلا أن نكرر في هذا المقام ، ما ذكرناه لدى حديثنا

عن مبنى ، فيما يتعلق بحول الاحياء القديمة ، والمطارات
الضيقة المأدبة ، وبضعة الاسواق والخانات المسببة والقبعة ،
وبقيعة ، الطريف ، في الحو الذي ، وضرورة الاحتياط بصفات
ووحدة وجميع عناصر هذه المجموعة التي أنشأتها العصور المتعاقبة .
وتقدم حلب خاصة إمكانات عظيمة لتجميل متنابيع ، لأن
كل نوعها مسجل في أنبيائها القديمة الفضة . وبكفي أن نحاس
هذه الابنية القديمة من العشرات الطفولية والحزينة التي تضيقها
والتي تشأت على جدرانها ، أو في الممرات الضيقة بها ، في
أرومة كانت السلطات العامة خلالها مهددة شأها . ويمكن أن يحسن
منها ، بشكل لائق ، الأولاد البهجة المجهورة ، أو التي يظنها الفقراء
مثل الشيخ محسن ، والابولستان النوري ، والمدرسة الظاهرية
الواقعة خارج السور ، وبولستان آوغوت المني سنة ١٣٥٤
والتي يحد معجزة من معجزات فن البناء .

ويشاهد في مقبرة الصالحين ، التي كانت مركزاً دينياً قديماً
جداً ، وحلوة على سفرة مقدسة تقيم التقاليد بينا وبين ابراهيم
عليه السلام ، بعض المآلات ، عدد من القبور التي ترفي إلى
آسرة القرن الثاني عشر . وما زال بعض هذه القبور مستخدماً .
كما أن بعضها الآخر مهجور ، ومطهر . وهي على أهمية كبرى
لأنها من أشكال قديمة رائعة تحويه من كتابات جميلة . وبكفي
أن نحيطها بحديد ، وأن نرسلها عما حولها ، وأن نرسل فيها
بعض الاشجار . وبذلك يحول هذه المنطقة الخربة إلى حديقة
أثرية جميلة .

ويمكننا أن نوجد هذه الملاحظات أيضاً في الكلام عن قبور
مآبرة الفلمات الواقعة شرقي مدرسة الكاملية خارج السور .
وليس من الصعب فتح باب هذه المدرسة ، وتحسين منظرها .
ويجب تخصيص بعض المجموعات الأثرية المهمة بما يحيط بها
من أبنية طينية نشأت فيها مثل أبواب اطفال كية والنصر والحديد
الحلية ، ومنل واجبات ومداخل وأبواب اوزدامور والصاوي ،
وقرديغ . وقد نظمت المنطقة المحيطة بالسور بين باب الخان وباب
قنبرين ، وهدمت فيها الدكاكين القديمة ، لتأخذ ميداناً من
أجل الميادين التي يمكن تصورها ، والتي للرائين من هذا الميدان
أن يصيروا مجاريات وأبراج المايك وواجهاتها .

ويجب أن تؤخذ البيوت الأثرية الخاصة الجنية بين الاعتبار

أيضاً لدى اتباع برنامج لإصلاح الابنية الأثرية في حلب
والاستفادة منها . ومن هذه البيوت الأثرية منزل غزالة الذي
حول في الوقت الحاضر إلى مدرسة ، والذي هو مهدد بالخراب .
وهذه المدرسة من القرنين السابع عشر والثامن عشر . ونرى أنه يمكن
الاستفادة منها كما يمكن الاستفادة من بعض المآلات ، وذلك
عن طريق تحويلها إلى نوادر أو فنادق تخصص للسائحين الأجانب .
وبذلك يتربأ مدينة حلب أن تقدم إلى زوارها ، مضافات لائقة
في حدود فضاء اسعراق الذي لا يحصى .

مخطط تجميل المدينة :

وقد قدم المهندس الفرنسي أ . فونون الأستاذ في معهد الهندسة
العمالية (الاوربانية) في باريس سنة ١٩٥١ ، على حلب بلدية حلب ،
مخططاً لتوسيع المدينة وتنظيمها ، وأرفق هذا المخطط بتقرير
عرض فيه الاسباب التي دعت لتصور عناصره .

ويجب أن ينظر إلى هذا المخطط ، كدراسة علمية تنطق في
خطوطها الكبرى مع حاجات المدينة الجديدة ، ومع رغبات
الادارة الحكومية . أما التقرير فانه دليل لتنظيم المدينة ، وفيه شرح
الاعتماد المتبادل والاسباب التي يجب أن تتبع وتؤدي إلى تحقيق
هذه الاهداف . ويمكن للمرء أن يقرأ فيه أنه على الرغم من
رغبة كاتبه الاول في العمل على تأمين توسيع المدينة البشري
والاجتماعي ، فانه يرى من اللازم أن تقدم : « القيمة التاريخية لكل
شي من الاحياء والسكن بناء من الابنية » وأن يتخذ مشروع
في المستقبل للاهتمام على كل ذلك إقبالاً تاماً ، أو لتنظيمه
والاستفادة منه . وقد أورد هذا المهندس قيمة أسواق حلب
التجارية ، فأولى وأهم موقعا الذي حددته الزمن ، والذي
ما زال في عصرنا الحاضر كما كان قديماً . وقال مانعه : « يجب
أن نتخذ الطرق المؤدية إلى المآلات التي تؤدي الاسواق والتي هي
عناصر طبيعية للتبادل بين التجار الكبار (بالجملة) والبائدين (بالفرق) .
على شكل يحفظها كمتقيد من المطارات الحالية المأدبة منذ أزمان
بيدة والتي تنفذ بسهولة إلى داخل الجزرات العمرانية » .

ثم يتصح بتفريق الدوارع التي تمر عليها السيارات عن
الدوارع التي يسلكها المارة ، ويتفادي إنشاء دكاكين على
الدوارع الجديدة الضيقة لسيارات . ويحدد صفات كل
منطقة من مناطق المدينة - منطقة السكن ، والمنطقة التجارية ،

والمناطق الصناعية - بما يتفق مع حياة المدينة ، وطبيعة أرضها .
ويذكر أن مكان الأبنية الحكومية والإدارية عين في الخطط
دون تحديد ، وذلك حتى تحجز المواقع المختارة للمصلحة العامة دون أن
يكون المالكان مخصصاً نهائياً لشكل بناء من هذه الأبنية .

وقد جعل المركز المدني حول قصر الحكومة (السرايا)
دون أن يجعل توسيع عدد من التحفيزات ، واستراحي التي من
شأنها تنسيق الأبنية الجديدة في جو الأبنية التراثية الموجودة
كـ (حمام البابلية ، والجوامع ذات القيم التاريخية والفنية
العظيمة) . ونحن نعتقد من هذه التواصي أنه يجب تنادي إحياء
أي بناء مرتفع حول القلعة ، إلا أن الأبنية الجديدة تحدد جميع
النسب الفنية الناشئة الموجودة في هذا الجو ، كما يوضح ذلك
مثل السرايا الجديدة التي اقترح عدداً عدة مرات ، ونحن نعتقد
أن الأبنية المراد إقامتها يمكنها أن تجد أمكنتها المناسبة بصورة
منطقية وسهولة في التفرعات الواقعة خلف هذه المنطقة ، ومع ذلك
فيمكن أن توسع بعض العناصر الجديدة ذات الارتباطات المحدودة في
الفرع الواقع بين المسجدين ، ولا ريب أن الغاية من هذه
العملية أن تحل مشكلة فنية قوامها أن يدخل أبنية جديدة ، في
جو قديم يحسن تهيئته لا عده . وهذا ما جعل مؤلف التقرير
يقول : « من الواجب أن يساهم الخطط كله بإتقان آثار الماضي
واستمرارها » وأن يحاول أن يقيم في الأبنية الجديدة مشقات
ضخمة تسم بقطاع هذا المعاصر في البناء ، دون أن نستوحش من صفات
أبنية الماضي ، استفيدوا من ثنائي مسجد ومن الأبنية عشر كيلو
متراً من الأسوار الموجودة في مدينتكم ، واستفيدوا بالتواحد
المستفادة من صفاتكم . . . »

ونحن نبدأ أن نأخذ إلى تواصي وتحفيزات هذا التقرير
المرفق بمخطط التخطيط الذي وافقت عليه بلدية حلب ، ونرجو
أن تلح على ضرورة إنفاذ خبراء مختصين إلى موظفي مديرية
تخطيط وعمران المدن أو الاستعانة بالجنة التي تحدثنا عنها سابقاً

حتى يمكن تنفيذ ما توصى التقرير بمخطوطه العامة دون أن يلجأ
بجميع تفاصيله .

والواقع إن التجارب التي أجريت حتى الآن كبناء السرايا
الجديدة وضع الشارع الذي أدى إلى تشويه مظهر المعجم
(« هو الشارع الوحيد عن هذا الشكل من البناء الذي يوجد
في الشرق الإسلامي » كما ذكر ذلك ج . سولمان) وقطيع
أوصال خان الوزير (وهو مجموعة بنايات رائعة ، وأجمل خان
في حلب) تصحفاً بالبناء ، ونجماً لتفقد بوجوب إجراء بعض
تقنين لخطات العناصر التي ساهمت في تشويه الأحياء القديمة .
قبل إجراء أي تدوير فيها ، وحتى ألا يتابع تشويه خان الوزير
في سبيل إرضاء الملاكين الذين اضطروا من توسيع الطريق ،
بفتحهم تعويضات على حساب عامة الخان كما فعل ذلك ، لأن
من شأن هذه العملية أن تفقد التوازن البنائي الجليل في الخان
وأن تخالف المبادئ التي ذكرناها سابقاً مخالفة صريحة .

والخلاصة إن وظيفة أي مخطط تخطيطي منفتح على مخطط
المدينة بعض التوجيهات حتى تسمع هذه المدينة إبداعاً متسجماً بإداعي
جميع الناس التي هم مجموع السكان . ومن العبد والدار أن ينفذ
حزناً لكن بعدم بعض المصالح الخاصة ، ولكن يخلق بعض
الأفراح الزمنية .

مصادر المصرفة

- ج . بخارودونزو : حلب ١٩٥٢ .
- ج . سولمان : قائمة الأبنية الإسلامية في مدينة حلب . مجلة الدراسات
الإسلامية - العدد الخامس - ١٩٥١ .
- ٥٩ - ١٩٤٤
- ج . حلب : جزآن . باريس ١٩٤١ (م . أ .
- ت . الجزء الرابع والثلاثون) .
- ٢ . سولمان : الترميم الإسلامية : مادة (حلب) ، ليد
و. باريس ١٩٢٢ ، ص : ٢٤١ - ٢٥٢ .
- سبحي معروف : دليل الزائر ، حلب ١٩٥١ .

المدن الكبرى في الصحراء

بادية الشام

إن بادية الشام ليست صحراوية بدرجة واحدة . لأن السبب تعتمد فيها على مسافات شاسعة ، فتسمح للحياة أن تنشأ فيها . وتتمثل عليها الأمطار قليلاً ، خلال فصل الشتاء ، فتعد فيها بعض النباتات ويجاري السيول ، وتكثر منها المراعي . وينقل سكانها البداءة بين أرجائها باحثين عن الكلأ لمواشيهم ، ويظلون يجازيهم فضاءها الأمل ، كما يحدث أحياناً أن حياة الأتلة والزراعة تحول تحول حياة البدو والظن ، ويتجمع السكان حول بئر أو عين ، ونشأ عن ذلك قرية أو مدينة ، تبت حولها أشجار النخيل ، وتزرع الحبوب في أراضيها .

وبسبب هذا تقدم أنه الشروط يمكن أن تتوفر في هذه البادية لكي تستثمر بعض مناطقها إذا سمحت بذلك الظروف . وهذا ما حدث في بعض الفترات من التاريخ . إذ تطلعت فيها أعمال الرعي التي ساعدت على إثبات المزروعات ، وحفرت الصهاريج التي جلبت المياه للحد والحرى . وساهمت التجارة باعثة سكانها الذين لا تكفي حاصلات أراضيهم لتدبيرهم ، كما دفعت ضرورات الدفاع العسكرية إلى إنشاء الحصون والقلاع في أراضيهم ، واقتضى مدحاتها بالمؤن والمخازن .

ونشأت خلال هذه الصحراء السورية الطرق العسكرية للولايات التي تمر على - محطات اضطرارية - مناطق لصالح للحياة بسبب مناجها الاقتصادية الطبيعية أو الاستغابية . وقد دعت إلى نشوء هذه الطرق ، حاجة الاتصال بين الخليج الفارسي

والبحر الأبيض المتوسط . ولا ريب أن وادي الفرات هو الطريق الطبيعية فيها ، وتنتهي هذه الطريق بحلب وإنطاكية . إلا أنها اختصرت بواسطة اختطاط طريق ثانية عبر الصحراء ، وتمر على تدمر ، وتؤدي إما مباشرة إلى ممر حمص ، أو أنها تخرج جنوباً نحو الجنوب إلى دمشق وفلسطين . وقد ولدت على نقاط ابتداء وانتهاء هذه الطريق الصحراوية الثانية أو على مراحل منها في الواحات أو النقاط الاستراتيجية كممرات نهر الفرات ، أو أمكنة اجتياز المضائق الجبلية ، وكان مدن قري اجتمع فيها عدد من الشروط اللازمة للحياة البشرية . وكان من هذه المدن دورا أوربوس أو تدمر .

تدمر

يتمتع موقع تدمر بصورة عظيمة يستحقها تماماً . وهو مدين بها أولاً إلى جماله الطبيعي . ففيه ينبوع ذو مياه كبريتية زرقاء شفافة ، وبساتين النخيل الحسنة ، وتنتاد رائع بين الصحراء الممتدة إلى مسافات شاسعة جنوباً ، وبين حاض الحبال التي تحف به شجراً . كما أنه مدين بها أيضاً إلى الذكريات التاريخية العظيمة التي علفت به . ولا يخفى أن تاريخه الاقتصادي والسياسي جعل من واحدة الواقعة في قلب بادية الشام حضرة من حواضر التجارة العالمية القديمة في الشرق . كما أن الملك أذينة والملكة زيبه لزوا كانا سيدي الشرق ووليني روما الكبيرين ، ثم منافسها ومزاحمها على دورها الامبراطوري العالمي . وأخيراً فانه مدين بها خاصة إلى روعة وعظمة الأطلال الباهرة في رحله .

وفي الواقع إن الأطلال التدمرية تروغ الخيال بسننها ومخائنها

الخاتمة الجيدة . إذ أنه تشاهد على أطراف المربعات التي يؤلفها تقاطع شوارعها القديمة ، صفوف الأعمدة المنتظمة ، وجدران المقاعد والأروقة ، وأدراج الأبنية الرممية . وتمتد حول المدينة حقول القمار الواسعة بناجها المتعددة . فمنها القبور - المساكن ومنها القبور - الأبنية ، ومنها القبور - الأبراج ، التي على الرغم من أنها نهيت في الزمن القديم ما زالت محافظة على زخرفتها وكتابتها ، وعلى غايتها ، وسور المولى الذين دفنوا فيها . ومن خصائص تدمر أنها تحوي مجموعات بناية أثرية كبيرة جداً ، والأعمدة الضخمة التي كان يرتكز عليها رواق الشارع الكبير ما زالت قائمة على مسافات طويلة من هذا الشارع . كما أن جنود هذه الأعمدة ما زالت تحمل القواعد التي كانت توضع عليها تماثيل عظماء التدمريين ، وتنتج بأطرافها وأقراصها القديمة . وكذلك فإن معبد (بل) ما أمك كما كان قديماً ، وتحيط به الأروقة ، والخدعان الخارجية ، وإن الأبراج الجنازية ، حيث تقوم أشباح المولى كأنها صفوف من الحرس على طرفي المضييق الجبلي الذي تجتازه طريق حمص دمشق ، فتند بأشكالها المكعبة الشاهقة على كشوح الخطاب . وأخيراً ما بقي الحصن العربي بكل فروة الجبل بأبراجه وأسواره . ويؤلف عنصراً هاماً من عناصر المناظر الأثرية التدمرية .

وقد نؤكد المتنبون أن أقسام الأبنية المتطورة في التراب لم تتأثر إلا قليلاً من مرور الأزمنة ، وأنها ظلت محافظة تامة على أشكالها القديمة بسبب ازوال التي حبستها في جوفها وبسبب الأرقام الذي حافظ عليها وولها من عناصر الفساد . وأحسن الأمثلة التي يمكن سردها على ذلك حالة التصاور الجدارية الجديدة في داخل المقابر . ويلاحظ أن عمن طبقة الرمال التي تغطي أجزاء مهمة من الأبنية تتراوح بين ثلاثة وأربعة أمتار . ولا يخفى أن شأن تدمر انحط تماماً بعد نهيتها سنة (٢٧٣ م) على يد الأمبراطور أورليان ، وأنها لم تستعد مكانها القديمة فيها بعد ، ولم تستخدم أبنيتها في غير الغاية التي أنشئت من أجلها إلا فيما ندر وفي أغراض عسكرية فقط (شأن البناء المسمى حالياً معسكر ديوكليسيان وسور معبد بل الذي حول في القرن الثاني عشر الميلادي إلى قلعة عربية) . لذلك فإن الأبنية التدمرية لم تهدم ، ولم تترك أحجارها كما حدث ذلك في كثير من المناطق الأثرية الأخرى .

وبدعونا كل ما تقدم إلى القول إن تدمر تقدم شروطاً مثالية للتنظيف الأثري . وتتضمن منطقتها إمكانات عظيمة لن تنضب قبل زمن طويل . فبعد الدراسة الوصفية عن البقايا الظاهرة من أوابدها التي لم بها العلماء الآن بآسفة . وبينان ، وبعد التشييب العلمي في مقارنها الذي أجراه العالم الهاميركي هـ . إنكونت وبعد الدراسات العميقة التي صاغها هـ . سيرينغ ، ور . آبي ، و د . شومبرج ، و ج . غ . فريه ، و ج . كاتينو ، و ج . ستاركي وغيرهم عن الأوابد والقيادات التدمرية ، تقوم مديرية الآثار العامة في سورية فتتصور وتصوغ مشروعاً ضخماً جيلاً لكشف كل ما بقي من الاطلال التدمرية الواسعة . وقد أظهرت حتى الآن بناء السوق (الاغورا) قبل الحرب ، وبناء المسرح منذ مدة قصيرة . ويشنّ هذان السلاسل العظيمة النتائج الباهرة والمفيدة التي سينجني عنها هذا المشروع الجبار . وتتابع الأعمال لتحقيقه بانتظام . إلا أن الواجب كبير جداً ، ويمكن أن يفسح فيه المجال لمساهمات مفيدة وخصبة تقوم بها بعض البعثات الأثرية (١)

هذا وقد وضعت على بساط البحث قضايا خاصة من جراء دراسات الاطلال التدمرية ومن جراء كشفها ، وبحسن التنبؤ بها . فقد اقتضى القيام بإجراء أعمال ترميم وتثبيت واسعة في القوس الضخم ، وفي معبد بل ، وفي الرواق الأكبر وفي عدد كبير من القاعات . كما أن مدفن رحلي نقل إلى المتحف الوطني في دمشق ، وأعيد هناك تركيب زخارفه ، فكان ذلك عملاً دقيقاً للغاية . وقد كمال بالتجاح .

ثم أن الحل الذي اتخذ لمرور معبد (بل) عما كان يجاوره من منشآت قروية طفيلية كان جريئاً جداً . فقد نقلت القرية برمتها ، بعد أن كانت بيوتها على سحن الحديد ، وأعيد إنشاؤها تحالي حدود المدينة القديمة . وبين الآن بعد دهي عشرين سنة على ذلك العمل ، مقدار التجاح الذي لاقاه هذا الحل . إذ أن التدمريين يعيشون حالياً في مدينة صغيرة جديدة ذات شوارع واسعة مهيأة ، وتتوفر فيها شروط مدنية وصحية تامة . ويمكننا أن نذكر هذا المثل الرائع عن الحلول الأثرية الناجحة . ولم يبق في سحن القبة إلا منزل مديرية الآثار العامة في الزاوية الجنوبية الشرقية من

(١) سمحت مديرية الآثار العامة لبعثة أثرية سويسرية برئاسة بول كولارد ورئيس البعثة التي وضعت هذا التقرير بالتنقيب في منطقة معبد بل شامخ .

السور ، الذي ينتج به إلى علماء الآثار المواقدين ويتركهم يتعمق
بحره اللطيف ، ويكرمهم بسطاء .

إلا أن تدمير لم تكن مدينة فحسب ، بل مركزاً طيبياً
لمطقة واسعة تمتد من جبال لبنان الشرقية إلى القران . وقد
بدأ العصر الحاضر يقهر الكاديا وأحيتها ، وأنه كان لها على طرق
الصحراء المقاطعة ، وهي نهاية هذه الطرق على نهر القران ، وقد
تماثلت أخرى تامة لما كان لها شأن في فترات مختلفة من التاريخ . وقد
تركت هذه الماكن آثاراً عظيمة ما زالت ماثلة حتى يومنا هذا .

قصر الخير الغربي والشرقي

وكانت تدمير كما بين ذلك د . شلومبرج في كتاب صدر
حديثاً أقل انزالاً مما يتصور . فقد ازدهرت مراکز أخرى غير
حاضرتها في أنحاء مختلفة من أراضيها . ونشأت هذه المراكز في
السهول حيث توجد واحات نشأت في أراضي أعمال واسعة للري ،
وقامت قرى الزبدة في الجبال الواقعة في شمالها الغربي ، بعد أن
سقت فيها الصهاريج التي تحفظ المياه اسكانها خلال أشهر الصيف .
ولم تكن هذه القرى بعد تدمير تدمير ، وهجرها أهلها . إلا أن
السدود والآنية التي أنشئت فيها خلال العصر الروماني بقيت إلى
العصور التالية ، واستفاد منها البيزنطيون والغرب . وأمكن بفضل
هذه السدود والآنية بناء قصرين عظيمين شرقي تدمير وأرجهما ،
دعيا بقصر الخير الشرقي وقصر الخير الغربي ، وما زالت أطلالهما
قائمة وسط المساحات الصحراوية الواسعة . وكانا قديماً محاطين
بالمسائين المسورة بالحمران ، وقد استخدمنا كحصنين وقلعتين
بأن واحد .

وبن الخليفة هشام سنة (٧٢٧ م) قصر الخير الغربي ، وحده
مقراً فخماً له ولعاشيته . ويدل على أطلاله من بعيد برج بزلغلي شاهق
لم يبق منه إلا الصقوف السفلية من جدرانه ، وكانت من الأحجار
المجولة . وقد كشف د . شلومبرج عن هذه الأطلال القرب بين سنتي
١٩٣٦ و ١٩٣٨ . وأظهرت هذه التنقيبات مخطط القصر (الذي
هو مربع مدعوم بأبراج ، وداخله باحة متوسطة ذات أروقة ،
وله مدخل شرقي واحد) ، كما أظهرت بقايا لا تخص من زخارفه
الجديدة ، وسوراً حديدية كانت أمامه عجيبة وألمة عن الغرب
الأنوي في سورية .

وكذلك فإن هشام بن عبد الملك هو الذي شهد قصر الخير الشرقي

سنة (٧٢٩ م) بالقرب من بناء قديم مسور . وقد احتفظ
هذا القصر بجدرانه وأبراجه . ويختص البرجان المحيطان بالدخل
أن أقسامها العلوية مزينة بزخارف مؤلفة من أقواس قائمة على
سوريات . أما الأقسام العلوية من الأبراج الأخرى فيها
مزينة بالشرطة فخرية . وفوق مدخل القصر واجهة مستديرة
كانت تعلوها شرايف .

وعلى الرغم من أن هذين القصرين متشابهان ومن عصر
واحد ، فقد وضعا أمام مديرية الآثار العامة قسيتين مختلفتين . إذ
نرم العمل على استنتاج المواضيع الهندسية التي كانت تؤلف زخارف
القصر الأول ، كما نرم حيازة هذه الزخارف التي عثر على آلاف
قطعا أمام جدرانه ، ونقلها ، وإعادة تركيبها في المتحف الوطني
من دمشق ، وعرضها في جناح خاص أُنشئ في هذا المتحف على شاكفة
السم الشرقي من قصر الخير . وقد احتاج هذا العمل الدقيق إلى
سنوات طويلة من جهود مبدعة مثقفة ، حتى غدا الجناح المعاد
تشيده من أجل الآثار التابعة للمتحف المذكور . أما قصر الخير
الشرقي فقد نرم إصلاح وترميم أسواره وأبراجه التي زالت
قواعدهما بسبب الزلزلة ورياح البادية . ولافت مديرية الآثار
العامة كثيراً من المصاعب في تنظيم أعمال ورشها في تلك المنطقة
البعيدة ، وفي تغطية هذه الورشة بما تحتاجه من مواد ومياه ،
حتى تكفلت أعمالها هناك بالتجسس ، وأخذت أسوار وأبراج هذه
القصر . ويتابع العمل فيها قريباً جداً .

الرسافة

وجدت البنية الآرامية التي تدير أعمالها السيد كارينا
أولاً . برون سنة ١٩٥٢ قصرأ آخر لخطيفة هشام بين أقاص
مدينة إسلامية واقعة خارج أسوار الرسافة . ولا يخفى أن الخطيفة
هشام مات في الرسافة ودفن فيها .

وما يجدر ذكره أن الرسافة لم تنته حتى الآن إلا بالأوابد
المسيحية الجديدة داخل سورها الواسع . ولا شك أن لمساعدة
الأوابد أهمية كبرى في تاريخ سورية الحالية وتاريخ عملاتها
خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين . وأمر هذه الأوابد
وأعطيا ، وأكثرها حفظاً كنيسة القديس سرجيوس الذي مسج
عظمها ج . كولوني ، على أثر الحفريات التي أجراها فيها .
ويظهر أن هذه الكنيسة تعود إلى النصف الثاني من القرن

الخامس . أما بقايا كنيسة الاستهاد وكنيسة كبيرة أخرى ، فإن معظم أقسامها ما زالت مطمورة بعد ، تحت التراب . ويمكن رؤية زخارفها المنحوتة المنتشرة حول الحنايا المقبية ، وتيجانها ، وأقواسها . كما يجدر التنويه بأبنية أخرى أسنن من الأوابد المذكورة ، والتفصيل أنه توجد كنيسة جنازية خارج السور خاصة ويلاحظ أن الأحجار التي بنيت منها هذه الأوابد ذات طبيعة خاصة أي أنها من الجص الجيري الذي يعنى عليها راحة جداً .

وتلاحظ أيضاً زينة باب السور الشمالي ذات الفخار الأحمر . وتتألف من خمسة أقواس بأبعاد مختلفة ، محمولة على أعمدة . وقد شبه تركيبها وأسلوبها ببعض أقسام قصر الإمبراطور ديوكليسيان في مدينة (سيليث) .

ولا ريب أن سمة أطلال الرصافة ، وضخمة أوابدها ، وبعد موقعها عن المدائن ، تجعل التفتيش والاكتشاف فيها صعبين للغاية . وليس لنا إلا أن ندر سروراً قائماً بقيام الأعمال الأثرية فيها اليوم ، وأن نتخلى عن كتابع هذه الأعمال في المستقبل على شكل واسع .

وادي القرات

ولا يمكن فصل طريق القرات عن طرق الصحراء الأخرى لأن هذه الطريق تمر في الأخرى على حسون وقلاع أنشئت خلال عصور مختلفة في نقاط تلاقي الطرق التي تبدأ من تدمر وتقاطع بحري النهر . وذلك في حال دورا والرفقة .

أما دورا أوربوس (الصالحية) فهي مدينة أنشأها السليقيون في آخر القرن الرابع قبل الميلاد ، واحتلها الفريسيون ، ثم الرومان ، وارتبطت آنذاك ارتباطاً وثيقاً بتدمر . حتى استباحها الساسانيون وهدموها سنة (٢٥٩ م) . وكانت هذه المدينة تحتل فوق القرات حضية يحددها واديان ضيقان . وعلى هذا فقد كانت حارسة لمدينة التميمين عبور النهر ، ومرحلياً للقوافل ، ومروراً نهرياً بتنازل ، أي أنها كانت منتشرة بمرکز إستراتيجي واقتصادي هامين جداً ، ولم يبق أحد إلى موقعها إلا سنة (١٩٢١) لا اكتشفت صدفة بعض التصاور الجدارية لعبد الآلهة التدمرية التي نقلت إلى المتحف الوطني في دمشق . وفسد بدأ بالتقريب فيها المار البلجيكي ف . كرومون ، ثم ثابت هذا التقريب جامعة بل الأميركية تحت رئاسة العالم ج . روستوفزوف ، فبين نتيجة ذلك أن

لمدينة شوارع منظمة على شكل رقعة الشطرنج شأن كبير من المدن اليونانية . كما ظهرت على أثر التنقيبات عدة أبنية مهمة ، منها أحد عشر مبداً كبيراً ومعبداً صغيراً ، وكنيسة مسيحية ، وكنيسة يهودي ، وصوفى ، وعدة حمامات ، وعدد كبير جداً من المنازل . ومن الأبنية الأثرية المهمة المكتشفة مجموعات الصور الجدارية للكنيسة والكنيس التي أعيد تركيبها في (بيل) ودمشق .

وعلى الرغم من أن مدينة الرقة كان لها بعض الأهمية في الأزمنة اليونانية والرومانية ، فإن البقايا الأثرية فيها ترفى جميعاً إلى اليهود الأسلمية التي بدأت بها لا شيد الخليفة المنصور في أرضها مدينة أراضة سنة (٧٧٢ م) . وأظهر عهده البقايا الأثرية باب بغداد ذو الزخارف الفخارية الجميلة ، ومسجد نور الدين الذي يعود عهده إلى القرن الثاني عشر الميلادي ، ويتصف بأقواسه الجميلة ومئذنته المستديرة . هذا وقد قامت مديرية الآثار العامة منذ مدة قريبة بالتنقيب عن بقايا القصور التي أنشأها الأمراء العباسيون خلال القرن التاسع خارج سورها . وقد نفذ أعمال الحفرات السيد نصيب صبي ، وأدت هذه الأعمال إلى اكتشاف قصر في سنة ١٩٥٢ يبعد ثلاثة كيلومتر مترات شمالي السور ، وسر في هذا القصر على غرف كثيرة محاطة بالحدائق ، وظهرت فيه أيضاً كتابة كوفية باسم الخليفة المنصور . وعدد كبير من قطع الجص الحرمة ، وسورة جدارية هندسية ، وعدد من الأواني الزجاجية والفخارية المطلية . وهذا القصر جزء من مناطق ضخمة ستمثل مديرية الآثار العامة على صكفها بصورة علمية مستمرة (١) .

ومن اللازم ذكر منطقة مارى (تل حبري) التي كانت قبل ثلاثة آلاف سنة من دورا قائمة على بعد أربعين كيلو متراً منها إلى الجنوب ، على طول القرات وفي موقع ممتاز مشابه لموقعها . وكلنا نعلم أهمية المكتشفات الأثرية كالتقاريل والحلي ، والفسيفساء الصدفية ، واللوحات المكتوبة التي وجدت فيها البنية الأثرية الأقرنية التي تعمل هناك منذ سنة ١٩٣٤ برئاسة السيد

(١) علم اكتشف هذه الدورية في حريف عام ١٩٥٥ خيراً ماينا آخر استخرج من القصر الأول . وهو يقع في ثلاثة أجنحة كبرى ، جناح الاستقبالات الزينة ، وجناح المنازل الخاصة ، وجناح المدائن . وقد يتر فيه على أنها من مكتوب ولكن بواسطة لغة إلى ساحه .

أ. بارو - وعنده المكتشفات الرائعة محفوظة في متحف اللوفر وحلب. ويمكن مشاهدة الحديثة منها في معرض المكتشفات الآثرية في دمشق. وكان الدور الثالث لمدينة (حلب) التي كانت تسمى زونيا قديماً المبني منذ العصر الروماني يقع بواسطة أبراجه المتفارية من عبور المتيق المؤلف على قمة أفراث من هضبة بازلية مرتفعة. وأخيراً نذكر مسكنة التي كانت تسمى قديماً (بليس) ، والتي فيها اليوم متحف أثرية من الآخر. وتقع هذه المدينة في تقطة التقاء طريق إنطاكية وحلب بأفراث. وتختص معظم أبنية المدن التي ذكرناها أنها مشيدة من الطوب على طريقة بلاد الرافدين. كما أن سمة هذه المناطق وجددها بجمال العناية بالآنية المذكورة. وتقويتها من الصنوعات الكبرى التي لا يمكن حياها. ويظهر أن أهمية المكتشفات في ماري ودورا والرفة تفوق أهمية أبنيتها الآثرية التي أظهرتها التنقيبات. لهذا فانه بعد أن نرسم مخططات هذه الأبنية عقب إجراء الحفريات ، وبعد أن تؤخذ صورها الفوتوغرافية ، قلت أطلالها نزلت وشأتها. ولا يبق على المتاحف والتضاريس العظيمة إلا أن تبعثنا من جديد ، وتخلد ذكراها.

مصادر مختصرة

س. بيد الحلق : إعادة لتيد جناح من قصر القبر القوي في دمشق
 دمشق ، مجلة الحفريات الآثرية ، الجزء الأول ، ص (٣) وما بعدها بالبرية .
 س. س. بارو و م. ج. روستوفتريف الخ : حفريات دورا أودوبوس ، تلاريم
 ليهدية ، عشرة أجزاء ، يوهان ١٩٢٩ - ١٩٥٢
 ج. بل : سورية ، الصحراء والتلج ، لوفور ، ١٩٠٧ .
 ف. كومون : حفريات دورا أودوبوس - باريس ، ١٩٢٦
 (م. أ. ت. الجزء التاسع) ، بالفرنسية
 ديموتيل دوبريسون : صور كمين دورا أودوبوس ، روما ، ١٩٣٩

١. هوشيان : الموسوعة الإسلامية ، مادنا (الزلزال) و (الزلزال) ، ص ١١٨٥ - ١١٨٧ و ١١٦٥ - ١١٦٧
 ليد - باريس ، ١٩٣٦ .
 ٢. انقول : دراسات من تحت السميري ، كولناج ، ١٩٢٨
 ٣. (القاموس) .
 ٤. ليرة : مائة مؤلفة من تدمر ، ١٩٣٥
 ٥. ١٩٣٥ ، ص : ٥٧ - ١٢٠ ، و ١٩٣٨ ، ص : ١٣ - ١٤٠ ، بالانكليزية .
 ٦. ليرة : الحفريات (زونيا - حلب) ، هناك انقول في ١٩٥١
 الحفريات الآثرية السورية ، الجزء الأول ، ١٩٥١
 ص : ١١ - ٥٨ ، بالفرنسية .
 ٧. بارو : حفريات ماري ، تلاريم ليهدية ، مجلة سوريا ، الجزء السادس عشر ، ١٩٣٥ ، وما بعده ، بالفرنسية .
 ٨. ماري : مدينة مدفونة ، باريس - بالفرنسية .
 ٩. حفريات ماري ، تلاريم من موسم الحفر مجلة الحفريات الآثرية السورية ، الأجزاء ، القاهرة
 أ. يوادلو : أثر روما في صحراء سورية ، جزءان ، باريس ، ١٩٣٥
 (م. أ. ت. الجزء الثامن عشر) بالفرنسية .
 م. روستوفتريف : المدن ذات القوالب ، لوكفور ، ١٩٣٢ ، بالانكليزية .
 د. شلومبرج : التلال القوي من منطقة تدمر ، باريس ، ١٩٥١
 (م. أ. ت. الجزء التاسع والأربعون) بالفرنسية .
 ١٠. حفريات قصر الحليق القوي (١٩٣٦ - ١٩٣٨)
 مجلة سوريا ، العدد الثموني ، ١٩٣٩ ، ص : ١١٥ - بالفرنسية .
 ١١. سيرج : الآثار السورية القديمة ، ثلاثة أجزاء ، باريس ، ١٩٣١ - ١٩٤٦ بالفرنسية .
 ١٢. سبارتوس : سوريا ، الزلزال ، بريك ، ١٩٢٦ بالانكليزية .
 ج. ستارك : و. ص. ملج : تدمر ، دمشق ، ١٩١٨ ، بالغات
 التلات لغربية والفرنسية والانكليزية .
 ث. وينك وش. كراشر الخ . . . بالانكليزية تدمر ، جزءان ، بريك ، ١٩٣٢ ، بالانكليزية .

المنطقة الساحلية

وادي العاصي

يجب أن توسع المنطقة الساحلية لدى دراسنا لما حتى وادي العاصي. لأن هذا الوادي يؤلف الحدود الشرقية لهذه المنطقة من الناحيتين الجغرافية والتاريخية. وهو وحدة طبيعية بين سلسلة جبال العلويين والخصبة الشرقية الخوارية، ويسد جزءاً من الانخفاض الطبيعي الطويل الذي يتألف خلف لبنان من الشمال إلى الجنوب. كما أن القلاع المنيعة التي اعتصم بها العرب لدى هجوم الصليبيين على بلاد الشام، واستغلوا أن يحصوا منها سورية الداخلية، تدرج على مجرى هذا الوادي كمنطق وحص وحماء. وشبر، والمنبج، وهي مئة بقية جميلة جداً. ويجدر في هذا المقام أن نذكر منطقين آخرين متباينين أولاهما منطقة أفامية التي تحوي أطالاً كثيرة، ممتدة على سهل مستقي يواظفه نهر العاصي، وتظهر خلالها بقايا متفرقة من الأوابد التي كانت قائمة فيها. وقد نمت أعمال الاكتشافات الأثرية فيها بدءاً بلجيكية عمت رئاسة العالم ف. مابلس ثم لاكوست، ويشاهد اليوم على أرض هذه المنطقة كثير من قواعد الانحداء، وجذوعها، وتيجانها، وما كانت تحمى من آثارها وأقارن. كما تعرف فيها بسهولة تخطيطات الشارع الكبير ذي الأروقة وأماكن عدد كبير من الأبنية المختلفة.

وتألفها منطقة حماة ذات السحر الرائع، والبياتين المحفورة على العاصي والنواجر العالية ذات الزئير الرتيب. وفي هذه القبة أبدان مبعثان حريتان بكل اهتمام. وهما المسجد الكبير بمثلثيه اللذين يعود عهدهما إلى عصرين مختلفين، وبصحنه ذي الأروقة

وقيام البيضاء. وبعض أفسانه التي ترقى إلى أرملة قديمة. ثم قصر العظم الذي يشتهر بالاقواس الرشيقة القائمة في باحة العلوية، ونوافذه المزينة، وقاعة استقباله الكبرى ذات القبة المخروطة بخاروف فطمة للغاية، والتي يرجع تاريخه إلى سنة (١٧٧٨م)، ويضم سحر المدينة القديمة جو ضواحي الهرم ويساهم بجعل الأقامة في حماة ممتعة بالهجرة والاض.

المناطق الفرعية:

ولا يمكن المناطق القديمة الساحلية أن نستوقفنا طويلاً إذا أخذنا بين الاعتبار المهمة التي كلفنا بتدقيقها، وعلى الرغم من جمال هذه المناطق ونهرتها. وذلك لأن المحافظة عليها والاستفادة منها لا تستدعي منا ملاحظات خاصة.

فقدان حقول رأس نخرة حزان في فطية شديدة. ولبنان به البعث الأثرية التي يديرها منذ أرملة وعشرين عاماً ك. شبر. والأهمية التي يجسدها الزمان في زيارة الاطلال ناشئة خاصة من الاكتشافات العظيمة التي حدثت فيها. ويصب على الزائر إذا لم يكن مطلقاً على ذلك أن يتعرض لفرح (أوغاريات) الطويل. وما زالت النصوص الكثيرة التي وجدت هناك قيد الدراسة. وأثنى الانشاء الأثرية التي شيرت معروضة حالياً في جناح المعارض من المتحف الوطني في دمشق.

هذا وتذكرنا أوابد محروبت الضخمة (١)، وأسوار جزيرة

(١) اجريت مديرية الآثار العامة مستجابة للتحري الأثري موريس دوان حفرات واسعة جداً في هذه المنطقة، في قاعة هذه القبة. ولقد أظهرت هذه الحفرات معلومات جديدة عن عصر النحاس في سورية، ومنس القرون الأولى الميلاد في سورية.

أرواد العظيمة التي كانت تدافع عن هذه المدينة من جهة البحر
يسطان الفينيقيين على الساحل السوري ، ومقدار ما بلغوا من تقدم .
وبقي بعد هذه الآثار في القمم مسرح جبل الروماني الذي
عمت مديرية الآثار العامة على الكشف عنه . وقد أصبح نتيجة
أعمالها آية ضخمة ذات أهمية كبرى لما لها من تفاصيل بناية
غير مثولة كـ (هياكل القباب الثلاثة التي تحمل درجاته ، وأوضاع
أدراجة حول محله) .

وأخيراً يجدر التنويه بحال التبراهيم الكبير أو (قوس النصر)
في الإذقية التي أجزت مديرية الآثار العامة أعمال ترميم واسعة فيه .

حصون الصليبيين :

وتخذ من الساحل إلى الداخل على الجبال الأوابد الكبرى
التي تركها الصليبيون والتي تسترعي الانتباه . وهذه الأوابد شواهد
على الجهود الجبارة التي بذلها الغربيون خلال قرنين من الزمن ،
في سبيل استبقاء هذه المنطقة في أيديهم . وشأنها في ذلك شأن
القلاع العربية العظيمة التي أقيمت على العاصي مقابل هذه القلاع
ليدافع سكان البلاد منها عن حوزة أوطانهم . وهي آثار رائعة
جداً ليس لها مثل في فن البناء العسكري خلال القرون
الوسطى . وندهشنا بمتانتها الدفاعية ، وبالأسلوب الذي اتخذها بنائها ،
وببعض أجزائها التي يمكن نسبها إلى الفن الغوطي .

ونلاحظ على الأطلال فلاح مهبون والمرقب ، والحصن
التي تروى النظر بمواقفها الساحرة ، وبشكل منشآتها العظيمة ،
وبالكثيرات التاريخية التي نبأها .

وتحتل قلعة مهبون (ساوون كما يسميها الصليبيون) رأساً
شيقاً مرتعاً بين واديين متداخلين ، كان الفينيقيون ثم الزنطليون
من بعدهم ، قد حصنوه ، وارتكروا عليه . وهو يتألف اليوم
من مجموعة كبرى من المنشآت غير المتجانسة التي شيدوها
الزنطليون والصليبيون والعرب . ونلاحظ فيه خطة العمل الجبار
الذي أدى إلى حرق الصخر وعزل الحصن ، بعد أن تركت في
وسط الوعدة السحيقة ، إمرة حرجية طويلة بالكتلة أن تحمل
الحجر المتحرك الذي كانت تؤدي إلى الحصن . أما قلعة المرقب
(مارغت كما يسميها الصليبيون) فلها ، تحرف فوق بلدة بانياس ، كوكبي
النسر ، على الطريق الساحلية ، من هضبة مثثة الشكل ذات جوانب
شديدة الانحدار . ويمتد حول هذه الهضبة سور القلعة المزدوجان .
وأجمل ما في قلعة البرج الجنوبي الذي يحمل كتابة جميلة من زمن

السلطان علاء الدين والكتيبة ذات البهو الواحد واليايين الأثريين
الموجودين بهاتين متداخلتين من الزخارف الحجرية . وأخيراً فإن
قلعة الحصن أو (الكراخ دوشوفاييه حسب الصليبيين) أجمل
هذه القلاع على الإطلاق ، وهي تقوم كمنحطة في وسط جبان
جرداء ، لمراقبة البحر الطيبي الممتد من طرابلس إلى حمص ،
وقونها الدفاعية عظيمة جداً ، وتتألف من سورين متداخلين
لها أبراج مستديرة ومربعة ، وأسوار شاهقة ، وشراريف وغاري ،
وعتار تحت الأرض ، ومنحدرات شاهقة مائلة تشكل نحو الأعلى
المنحدرات الطبيعية . وتبين هذه العلة الضخمة ، العارة الرشيفة
التي تشاهد في القاعة الكبرى ، وفي الرواق الذي يقع أمامها
وفي قبائها المتعددة ، وتبوابها المزينة بالسوريات ، ونوافذها المزخرفة
بالبليقان ، وزينتها المنحوتة ، كما يشاهد الأسلوب الرشيق في الكتيبة
ذات البهو الواحد الذي ينطيه سقف على شكل مهد مجزوء يحول
على مقام مزدوجة . وقد استلم فرسان جمية المستنق الذي
كانوا يدافعون عن هذه القلعة سنة ١٢٧١ أمام الملك الظاهر
بيبرس ، فكان استسلامهم فاجعة لانتصار سلطات الصليبيين
في سورية .

ونلاحظ أيضاً هذا التصادم بين المنظر الخارجي الحصين ، وبين
فن البناء الداخلي الرشيق الذي يروع المناظر ، في حصن
سافيتا (كاستل بلاك) . وقد أحاطت البيوت الحديثة هذا
الحصن على الشكل الذي كان لهذه المدينة خلال القرون الوسطى .
ولا توجد إلا نوافذ صغيرة جداً في جدران هذا البرج المربع ،
وفي داخلها كتيبة تتجلى فيها رشاقة قوية ، وفيها بهو واحد
تلوه قبة كاليد مجزوة ، وفي الطابق الثاني منه قاعة علوية
تلوه قباب ذات حروف ، وهي مقسومة بعدد من الدعام
إلى بهرين .

وتشاهد نفس الصفة المتعددة في طرطوس حيث ما زالت
توجد داخل قلعة فرسان عدم الحديد ذات الاسوار الضخمة ،
آثار قاعتين جميلتين تلوهما قباب متعامدة ومتصالبة . وتقع كاتدرائية
سيدة طرطوس على بعد عدة مئات من الأمتار من المدينة القديمة . وب
ما زال بحالة جيدة ، وتدل فيها بموج الكتيبة الحصنة . وواجهتها
قوسية وعربية جداً ، ولها برجان في طرفيها . أما داخلها ففيه
ثلاثة أبواب ، ودعامة ذات هيكل عجيب لا يمكن تفسيره . وخلاصة

القول إنها من أجل الأوابد التي تركها الصليبيون على ساحل بلاد الشام (١).

الفضاء الخالي :

يمكننا توجيه نوعين من الملاحظات على الابنية التي تحدثنا عنها . والملاحظات الأولى هي أن الاعتادات اللازمة التي تحتاجها العناية بهذه الأوابد الضخمة ، وتأمين بعض أجزائها التي توشك أن تنهار ، عظيمة جداً . وتقوم مديرية الآثار العامة بمجهود جبار في هذا المضمار . إلا أن وسائلها محدودة ، ولا يمكنها أن توجه قواها إلى كل الأمكنة الآتية بأن واحد . وقد التفت خاصة إلى الإصلاحات الضرورية التي تتطلبها حال قلعة الحصن . ولا يخفى أن هذه القلعة كانت محل عناية خاصة سنة ١٩٣٦ . حيث أخليت القرية التي كانت ضمن سورها ، وأصلحت داخلها . إلا أن كثيراً من الأضرار حلت قسماً منذ ذلك التاريخ . فتمت مديرية الآثار العامة لإصلاح أسوارها وأبراجها ، وإعادة تشييد قبائرها ، وتحديد مخرج منهازها ، واستبدال الخزاف الحجرية البالية في نوافذ وأبواب الرواق الواقع أمام القاعة الكبرى منها . إلا أن بعض التورل ما زالت تحمل بها . فقد سقطت الساعة مشددة على برج منها فدمته (٢) ، وعلت لحشاش الضارة منحدرها . مما أجبر مديرية الآثار على أن تعمل فيها بدون انقطاع . وكان كل ذلك في قلعة واحدة ، لا بالك بغيره القلاع .

وتحتمل مقدار العناية التي توليها مديرية الآثار العامة في تحقيق هذا الواجب ، وأنها مصممة على متابعة جهودها . ويجب توجيه انتباهي الحارة إليها على ذلك . وكل ما نتمناه أن يزود موظفوها الفنيون البارزون المكافون بقتنفة هذه الأعمال بتصانيع خبير كبير لما يحاولون القيام ببعض الأعمال المعقدة الدقيقة . ومن اللازم أن نقول مثل هذا القول في الأعمال الحارة لترميم مثناة الجامع الكبير في حلب (٣) .

(١) جردت مديرية الآثار العامة منذ كتابة هذا التقرير حديق من رجال الدين ومعلمي على هذه الكاتدرائية في آذار سنة ١٩٥٣ ، وفي صيف سنة ١٩٥٤ ، لإصلاحها كلها . وهي تأمل ألا تخل خاتمة هذا العام ، الاوكلون هذه الكاتدرائية الجميلة له اعتدت تماماً ، وأصلحت إصلاحاً تاماً .

(٢) أصح هذا البرج في هذا العام

(٣) لقد تأسفت منذ مدة قريبة منسوبة الآثار العامة شعباً لرجة لجنة الأوليسكو مع خبيرين عالمين كبيرين ، لتستمر بأعمالها لدى تنفيذها بعض المشاريع الدقيقة الصعبة .

ثم إن النوع الثاني من الملاحظات التي يجدر بنا توجيهها تتعلق بالجهد الذي تتطلبها العناية بهذه الابنية الآتية التي يمكن أن تحف وطنها على الحكومة السورية ويسهل أمرها . إذا أخذت بين الاعتبار القيمة السياحية التي تمثلها . وبمقدور اليوم على السائحين بلوغ هذه الابنية الآتية الجميلة . وبدل على ذلك عدد الزوار الضئيل الذين يزومونها (متوسط عدد زوار قلعة الحصن شهرياً مائة وعشرون في الشهر الواحد) . وتقدم سيارة جيب لمن يريد أن يصل إلى قلعة الحصن أو إلى قلعة المرقب . أما قلعة صهيون فلا تصل إليها أية سيارة . على الرغم من أن الطريق الجميلة لهذه القلاع قد خطت ، ويمكن لجعلها سالكة لسيارات السيارات أن يسي قطعاً بعدة كيلو مترات من كل منها . وإذا تم ذلك لشهدت أفواج السائحين تنظار من كل مكان زيارتها . ونحن نعلم أن رسوم زيارتهم يمكن أن توفر دخلاً لا بأس به يمكن استخدامه في إصلاحها .

وفي الواقع إن لهذه المنطقة مزاجاً عديدة سهل استيوائها . فهي قريبة من البحر ، وإذا أصلحت طريق قلعة الحصن لأمكن وضع زيارتها في برنامج أسفار التهوخر التي تفرح عياد البحر الأبيض المتوسط الشرقي . شأن زيارة بعلبك أو زائرة دمشق الموضوعتين في برنامج عدد من أسفار البواخر . كما أن السائحون الذين يأتون خصيصاً إلى سورية ويقصدون هذه المنطقة بحاجة إلى فندق لائق في طرطوس يتركون فيه ، حتى يتمكنوا من زيارة أرواد ، وصافيا ، وقلعة المرقب . كما يمكن حالياً القيام بزيارة جبلة ورس شجرة ، وصهيون من اللاذقية (١) . ثم أنه يجب إخراج مستودع الأخشاب والأدوات الذي جعله بلدية طرطوس في الكاتدرائية (٢) . كما أن إقامة بيت للسائح في قلعة الحصن بجمل زيارة هذا المكان ميسورة على من يريد ذلك من طرطوس ، وطرطوس وحمص ، وحما ، ودمشق .

وهكذا يمكن توسيع الحركة السياحية في هذه المنطقة التي يضاف جماعها الطبيعي إلى سحر أوابدها ، ويستفيد سكانها كما تستفيد كل سورية من ذلك .

(١) لا يمكن إصلاح الطريق المؤدية إلى هذا المظهر الآتية ، وإلى غيرها من المناطق ولا إنشاء مثل هذا المنطق هنا ، وفي غير ذلك من الأجزاء السورية ، إلا إذا أشادت مديرية كبرى أو وزارة السياحة في سورية تأخذ على عاتقها إزالة كل ما يحول من جبل سورية بلاداً سياحية مهمة .

(٢) لقد تم ذلك ، ومشتعل هذه الكاتدرائية إلى صحت بعد انتهاء أعمال الترميم فيها .

مصاريف شخصية

ك. ف. ا. شيلز، محاضرات وأسس شجرة القلوب، موجزة، محققين، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٩٩، ص ١٠٠.

« تتأثر من طفرات وأسثرة ، عدة الحواشي الأثرية السورية ، مثل
١٩٤٦ » وما بعدها « بالانجليزية » وفي أعداد هذه القية
خلافات وأخطاء بالعربية .

« « « أوفارليكا ، باريس سنة ١٩٣٩ ، و ١٩٤٩ (م.أ.ت. ،
الجزءان الحادي والثلاثون ، والثامن والأربعون) ومفالات متعددة
في مجالات أخرى .

د. ديتاب: لالة الحسن، جز ٥٥، باريس، سنة ١٩٧٥، ص ١٠٦، ت. الجزء
المفترقات (١)، بالاربعية.

ك. - الألو ، أوياد الصليبيين في مملكة القدس ، أربعة أجزاء ، باريس ١٩٢٠
- ١٩٢٨ { م. أ. ت. - الأجزاء الثلاثة المتأخرين } باللاتينية.

س . ممدی ، الامام الصليبي ، لوندرا ، سنة ١٩٥٠ ، بالانكليزية .

م . ديد ، عمارة الصليبيين العسكرية ، باريس ، سنة ١٨٥٦ ، بالفرنسية .

الدراسة الميدانية في الشمال

في البعوض ذات الموطول التي توحي:

يوجد قليل من البلاد التي تستطيع منافسة سورية الشمالية بعدد الأطلال التي فيها ، وبأهمية هذه الأطلال ، وبكثافتها . وقد دلت عليها رحلة الفيكوفت ملخوور فوقه التي قام بها سنة ١٨٦٦ . ولم تكن المواقع الأثرية التي تحدثت عنها هذه الرحلة إلا جزءاً صغيراً من الترواث الأثرية التي تملكها هذه البلاد . وكذلك فإن البعثين الأميركيين الذين أرسلنا إلى سورية بعد أربعين عاماً من انقضاء الرحلة القادمة لم ندرسها كل ما يجب دراسته . وإلى الآن لم نحصى المواقع الأثرية في سورية الشمالية إحصاءً تلياً ، لأن عددها يزيد على المئات .

ويقع قديماً عند ازدهار هذه البلاد السورية الشمالية التي تدل عليه وفرة أطلالها ، بين القرنين الأول والسابع بعد الميلاد . وبدأ يفتح الرومان بلاد سورية وفكر السلام فيها . ويشهد بعد الفتح العربي (١) وقد غني الماء خاصة بأدى الأمر بالكثائن بين كل المنشآت الأثرية . وصنعت عدة كتب أثبتت الدور الحام الذي لعبته سورية في تطور فن البناء المسيحي والذي . إلا أن عمل المؤلفين هذا لا يخلو من قلة ، لأنهم فصلوا الكثائن عما يحيط بها من منشآت أثرية أخرى ، بصورة غير طبيعية . ولهذا فمن اللازم أن تسع اليوم سائرنا عن هذه المواقع ، حتى نتبين من أن قبر غطلف نادرع أثبتنا سواءاً أكانت هذه الأبنية دينية أو مدنية فأنه في مجموعات

تزرع بها أنحاء تلك المنطقة . وفي الواقع إن الكنيسة لا تكون منفردة عن غيرها إلا نادراً . فهي عنصر من عناصر مجموعة بنائية في مدينة صغيرة أو في دير ، وبكشف كل جزء من هذه المجموعة عن وجوه مختلفة للحياة في سورية الشمالية خلال القرون الميلادية الأولى . ولا ريب أن دراسة الشروط الاجتماعية والاقتصادية لهذه المنطقة دراسة عميقة متصلة مع حفراتها وتاريخها يمكنها أن تفسر أوليها ، وتشرح السبب في ازدهارها البنائي العظيم . وقد فعل ذلك السيد م . ع . تالانكو ونحن شاكرين له ، والسيد ه . سيرينغ اطلاعاتنا على هذه الدراسات قبل نشرها .

وقد استطعنا أن نتعرف خلال زيارتنا على أشياء ما كانت تخطر ببالنا لولا قراءتنا ما تضمنته الدراسات المذكورة من أبحاث قيمة .

صفات بعض المواقع الأثرية

وتحتوي منطقة الهضبة الخوارية التي يحدها غرباً وادي العاصي ودمشق ، عدة سبل حربية وأبست هي مجموعها إلا مساحة واسعة من الجبال ذات الصخور القديمة المؤلفة الصخرة الجرداء . وتوزع المواقع الأثرية على ذراعها أو على سفوح منحدراتها . ولها مميزات كانت تستند إليها اللازمة لحاجات سكانها منها . ويمكن تقسيم هذه المواقع الأثرية إلى ثلاث مجموعات . الأولى تحامية في جبل حمتان ، والثانية متوسطة في جبل بربنا وجبل الملا ، والثالثة جنوبية في جبل الزاوية أو جبل ربحا . وتختص بعض المواقع بكثافة المنشآت القديمة فيها ، حتى إن الأطلال تظهر في كل ناحية من نواحيها .

وقد كانت هذه المنشآت خاصة حول الأديرة ، ولا يخلو

(١) إن أم أطلال هذه المنطقة من بناءاتك بهذا بعد ، بها الكثائن والمواضع والادوية وغيرها ، التي ازدهرت في العهد السوري المسيحي قبل الاسلام . وقد أثبت كثير من البعثات الأثرية التي امرت لم يجرى لها حتى مع المنشآت القديمة السنية ، إلا أن اعتناق سكان الشام دين الاسلام هو الذي عرف الناس منها ، فبجرت هي والمنشآت القديمة الأثرية للشعوب بها ، ونحوها إلى انحلال مع مرور الأزمان .

أن حياة الناس انتشرت انتشاراً عظيماً في صورة صورة مبكرة ، وشيدت لحد حاليها أبنية واسعة . وقد كان الدير قديماً إلى وظيفته الدينية مركز استثمار زراعي وبحوي أبنية متعددة ، كما هو الأمر في البريج وفي دير الترمين . كما أنه كان أحياناً مركزاً للتحجج قاصداً حوله القنادل والأسواق والحانات اللازمة لحاجات الجماهير شأن أدرة قلعة سمان ، ودير سمان موطن ذكرى القديس سمان المشهور .

وقد اجتمعت المنشآت أيضاً حول بعض المدن بنا في ذلك من أبنية زراعية ، ومزارع ، وكنائس ، ومساكن تزينت ، وامتدت أحياءاً إلى مسافات واسعة كما كان ذات حول (بلوطا) و (قرقيز) و (بيرو) . أو أنها ألفت فرى ذات بيوت كثيرة ، شأن (رفاعة) و (كفرناح) . أو أنها شكلت عدة منسارل متواضعة فقط كـ (قلطورة) و (تقله) . وما يمكن يسكن التعرف فيها جميعاً على تقايا الكنائس بين أنقاض أبنيتها المختلفة . كما يمكن التعرف على عمارت متعددة من الأبنية الختارية حولها مباشرة .

ومن هذه المواقع الأثرية موقعان ممتازان يماسحتهما الواسعتين ، واختلاف الأبنية التي يحويها ، وهما (البراد) في الشمال ، والباردة في الجنوب . أما البراد فاتها مدينة متبررة واقعة على هضبة جرداء تضاف الجزء الشمالي من جبل سمان . وقد كانت مركزاً إدارياً وتجارياً لمنطقة واسعة . وقد تألفت هذه المدينة حول نواة قديمة (تضمن بقايا حمامات يرجع عهدها إلى القرن الثالث الميلادي) ، وفيها كنيسةتان يرجع عهد الأولى منها إلى سنوات (٣٩٠ - ٤٠٣) ، وعهد الثانية إلى سنة (٥٦١) . وقد ارمهرت هاتان الكنيسةتان خلسة في القرن السابع . ثم إن الباردة تضاف أيضاً مساحة مسدودة واسعة ، طولها ثلاثة كيلومترات ، وعرضها كيلومتران . وكانت مركزاً لجبل الزاوية وشصف بكونها مدينة زراعية وصناعية (تشتهر بإنتاج الزيت والخمور) . وبين القناضي المنهارة والمجمعة على بعضها بحيث يصعب تفرقها يمكن تمييز بقايا عدة كنائس ، ومدافع غنية تعلوها مقوقهرمية ، ويرجع تاريخها إلى القرن السادس . وقد أبنام . ع . كاشانكو وجود وحدة في البناء في كل أرجاء هذه المسبة الجوارية . وهذه الوحدة تظهر في تشابه مواد البناء المستعملة وتجانس تحت أحجارها وروصت هذه الأحجار . وتعتمد هذه الوحدة على الزخارف التشامية التي وفق بينها وبين الأشكال الجديدة للأبنية . مما يدل على أن ورشات العمال الذين شيدوها كانت تتفصل بين

مكان وآخر وتترك هذا وهناك أماكن للطرق والأساليب التي كانت تختصها في أعمالها .

ويؤيد هذا الرأي عدد كبير من الأبنية التي تختلف أنواعها كما تختلف أهميتها . وتود أن نبرز بينها مجموعتين تفوقان غيرها بصنفاً وأهميتها المنقطعة النظير . وأولاهما كنيسة القديس سمان (قلعة سمان) ذات الشكل السليبي التي شيدت في الربع الثالث من القرن الخامس حول العمود الذي عاش عليه هذا القديس سبعة وثلاثين عاماً من حياته ، والذي ظل بعد وفاته مدة طويلة محجة مشهورة بقصدها الحجاج المسيحيون . وتمد بقايا هذه الكنيسة أعظم وأنجم أطلال مسيجة في الشرق بما لها من تعقيد فريد في نوعه ، وتركيب علمي في قعها المصن الأوسط وما في هذا القسم من أقواس مدورة وما لحينه وواجهته الجنوبية من نسب بدنية ، وما للواجهة ككنيسة الصميد ، ولأبنية الدير الأخرى من أثر يسام في جبل هذه المجموعة التي لا مثيل لها أعظم أطلال مسيجة وأصخما في الشرق .

أما المجموعة الثانية فلها تناف من كنيسة قلب نوزة ، وهي أقل شهرة من الأولى بسبب صعوبة الوصول إليها ، وانحزالها ضمن صحن واسع كأنها معبد وهي قديم على فروة جبل العلا . وهي من آخر القرن الخامس . وتواجهها التي تحيط بها برجان ، ورأسها المزين بالأعمدة ، ولأقواسها الكبيرة التي تفصل بينها الأوسط عن يهوها الجانبين ، ولتعب حنيها الضخمة ، ولانساق زخارفها المصونة ، ولتوزع هذه الزخارف توزيعاً دقيقاً كافياً ، جمال قوامه التوازن والكمال ، ولا يتوفر هذا الجال إلا في الآيات الفنية الرائعة .

عمدة الحياة إلى الرضفة الجوارية

وتدل كثرة الاطليل في هذه المساحات الشاسعة سواء أكانت في حواف السهول الخصبة أم في الهضاب الصخرية الخالية من المياه ، على أن سكانها القدماء الذين زالوا كانوا كثيري العدد ، وانهم كانوا يلجأون إلى بناء الصهاريج ، ليستفيدوا مما يجتمع فيها من مياه . إلا أن الصهاريج لا يمكنها وحدها أن تحصر رخاها القديم العظيم . ويحتمل لنا أن نساأل عن وسائل العيش التي كانت تكتفي سكانها .

وقد ظن بعضهم أنه كان لديهم كثير من الأراضي الزراعية الصالحة ، وأن هذه الأراضي زالت لا تخطت أشجارها واستوصلت تماماً ، مما أدى إلى تغير شروط الحياة في تلك المنطقة . إلا أن المسبور تشانكو يخالف هذا الرأي في كتابه الذي ذكرناه ، وبطل ذلك بحجة بسيطة يمكن أن نكون أصبح من التعليل السابق .

إذ ظهر أن سكان المنطقة الحواري القديمة كانوا يعيشون من أشجار الزيتون بالدرجة الأولى، ثم من الكروم بالدرجة الثانية. وتدل على ذلك وفرة عدد المعاصر التي وجدت في تلك المواقع الأثرية. وما زالت هناك تراصات بمكثفين ضمن التراكيب الحامية للمنطقة ولاقليمها. ولم يغير فيها إلا التراكيب السياسية والاجتماعية التي أدت إلى زوال سكانها. وفي الواقع أن الأثرية الزراعية المتمثلة في الأخاديد الصخرية لا تكتفي لتغذية سكان قرية ما إذا زرعت حبواً. غير أنها كافية لتأمين رعايتهم، إذا زرعت أشجاراً مثمرة. ثم أن الاكتفاء برعاية الزيتون له مقتضيات ومنها تأمين انتظام الاستهلاك المحلي مدة طويلة بتطعيمها بالأشجار، منها المبادلات التجارية اللازمة لتصرف المنتجات وضرورتها مقيداً لها بالاحتياجات الضرورية الأخرى. وتتطلب هذه الشروط زمناً طويلاً من السلام والأمن. وهذا ما تأمين سابقاً في العهد الروماني وفي العهد الحاضر منذ مدة قليلة (١). وفي الواقع يمكننا مشاهدة المنطقة الحواري اليوم. وقد بدأت تفتل من جديد بفضل زراعة الأشجار المثمرة.

على أن لهذه الحادثة تأثيراً كبيراً على مصير الأوابد القديمة.

نضابا اليوم : المحافظة على الأوابد

وذلك لأن سكان المنطقة الحواري يضيف صبوية جديدة إلى المساعبات الناشئة عن توزيع الأطلال، وعن طبيعتها الخاصة. وفي الواقع يجب المحافظة على هذه الأوابد وأن يؤخذ بين الاعتبار توزيع مواقعها الأثرية على مساحة تزيد على مائة وأربعين كيلومتراً وتصبب فيها التواصلات. كما يجب أن يحسب حساب سكانها، لأنها أكوام عظيمة من الأحجار المضطحة، فيها الكنائس التي نحدثنا عنها. ثم أنه يجب أن يعرف أن السكان الذين باتون لسكنى هذه المنطقة يفضلون الإقامة في الأطلال، ويحتلون الأبنية القديمة، ويصلحون الصهاريج الموجودة فيها. ثم أنهم يستخدمون الأحجار الأثرية القديمة المنجورة التي لا تكفيهم إلا عند نقلها من مكان إلى آخر، وتوفر عليهم مشقة قطعها وتعديلها.

ولا شك أننا لا نلجأ اليوم من إمكانية تديم أمة كبيرة من هذه الأوابد كما جرى ذلك سابقاً في كنيسة (القرمانين) التي زالت تماماً. ويجب أن يعلم أن مديرية الآثار العامة اتخذت

(١) إلا أن هذا التخليق لا يفسر إلا أن هذا لا يفسر هذه المصداق الحواري في حدود سعة طويلة مرت عليها كالعصر الذهبي للعصر، وأهمه الدلائل، حيث لم نجردها أبداً بحركات عسكرية.

تدابير سريعة وحازمة في هذه المنطقة وأجريت كثيراً من أعمال الترميم (خاصة في قلعة صمان) ، وجعل مقتضوها ومراقبوها وحراسها مراقبون الأطلال ، ولتجنبون إلى كل الطرق التي تؤدي إلى المحافظة عليها ، ومن ذلك كتابة الضبوط ، وتحويل المخالفين إلى المحاكم. ولا ريب أن هذه التدابير ناجحة ويمكن زيادتها. إذ لا يجب أن يفكر أنها كافية. غير أنه من المستحيل أن نحافظ على كل الأوابد ، وأن يبين سارس على كل موقع أثري ، وأن يدمع عن الآثار كل سينات عودة السكان إلى هذه المنطقة وهي حادثة سرية للغاية. وفي الواقع أننا نرى أمام مثل هذا الموقف أن يقتصر على تقوية وإعادة البناء أحسن الأبنية الأثرية التي لها أهمية معمارية واضحة ، وأن تترك وشأنها الأطلال الكبيرة التي ليست إلا جوانب من حدار أو كتل من بيوت متناثرة.

وفي هذه الحالة يجب أن يلاحظ شيئان مهمان. فمن جهة يجب دراسة هذه الأوابد وتبصرها تدرجاً عليها لائقاً ، ويجب التنبيه إلى القوائد العظيمة التي يقوم بها العلماء الزوار من هذه المنطقة. إذ أن الأوصاف المفصلة للأطلال ، وما رافقها من مخططات ، وصور ، ومخططات هندسية ، ودراسات تسمح بالاحتفاظ بوضوح بذكرى هذه الأطلال التي هي ذكرى مدعوة لأن تثير ولا تنزل. ويجب أن تقارن حالة هذه الأطلال الآن وحالتها كما تضر فوغة. ويولتر دراستها عليها.

ومن جهة ثانية يجب أن يذكر ما يمكن أن يتبادر من تشجيع السياحة من مساعدة قيمة في استئثار هذه الأطلال. وتيسر بسهولة تنظيم دورة سياحية تبدأ من حلب ، وتستهدف زيارة كنائس قلعة صمان وقلب لوزة ، مرارة على الطريق الرومانية من القناكية إلى كاليسوس ، والأوابد الخنازية في (دانا) و(سرمدا) ، وأديره دير صمان والبرج ، ودارة (ملوفا) . وتوجد الآن طرق صالحة في قسم كبير من هذه الدورة ، إلا أنه يلزم تحسين الدفاع الذي يصل إلى قلعة صمان ، وأن تثنى طريق مسفرة للعودة على الأقدام من سهل سلف إلى قلب لوزة. ويمكن إقامة سلاسل للسياحة جذابة في دير صمان في رباط من الرمال القديمة ، وفي (ملوفا) في الدائرة القديمة.

فإذا وجهت السلطات انتباهها إلى التروات الأثرية لهذه المنطقة المحيطة ، فإنها تكون قد ساهمت بتطويرها الاقتصادي ، كما تكون قد أكسبت مديرية الآثار العامة موارد هامة تناس من عائدات الزائرة ، ويمكن استغلالها في معالجة تلك الأبنية الزائفة ، وفي إعادة تشييد ما تهدم منها.

مصادر موجزة

- • • بترك : المأثرة في طول سوريا ومرضها جدي لبرخ ١٩١٦ بالأميرة .
- ج . لاسوس : المأثرة المسجلة في سوريا ، باريس ، ١٩١٤ (م . ت . أ ، الجزء الثاني والأربعين) بالأميرة
- ج . مازن : المدن المينة في سوريا العليا ، الطبعة الثانية ، بيروت سنة ١٩٤٤ بالأميرة .
- د . مويرد ر . ا . هوادار : خط حقوق كاليس ، جزءان ، باريس ، ١٩١٥ (م . أ . ت ، الجزء الثامن والثلاثون) بالأميرة .
- ج . سترزينوسكي : الفن البيسي القديم في سوريا ، مع دراسة تمهيدية لـ د . ج . م . ب . ا . باريس ، ١٩٣٦ ، بالأميرة
- ج . تشانكو : العصر القديس في سوريا الشمالية ، جزءان ، باريس ١٩٥٣ (م . أ . ت ، الجزء الخمسون) .

- • • ر . و . بيب : الأثرية السورية ، برلين ، ١٩٢٥ ، بالأميرة .
- • • ك . ك . باير : البعث الأثرية الأمريكية إلى سوريا في سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٠ ، الجزء الثاني من البناء ، وثيقة الفتوح الأخرى ، نيويورك ، ١٩٠٣ ، بالأميرة .
- • • جامعة برنستون : البعث الأثرية إلى سوريا في سنة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ وفي سنة ١٩٠٩ ، الجزء الثاني : من البناء ، الجزء - سوريا الشمالية ليد ، ١٩٢٠ ، بالأميرة .
- • • سورية الوطنية : من البناء الثاني والثاني - جزءان ، باريس ، ١٩٦٥ - ١٩٧٧ بالأميرة .

المدن القديمة في الجنوب

حوران وجبل الدروز

في القسم الجنوبي من سورية بلاد البازلت الأسود . وفي الواقع نضفي على هذه البلاد الصخور الاندفاعية التي تحلأ أرضها صفة خاصة جداً يمكن إجمالها في أن أحجارها سوداء ، وأوابدها سوداء ، وزخارف هذه الأوابد سوداء أيضاً .

وقد كانت هذه المنطقة كلها تسمى قديماً باسم (حوران) إلا أن هذه التسمية اقتضرت اليوم على قسمها الغربي الذي يفتقر عن قسمها الشرقي المسمى (جبل الدروز) . ويبرز هذا التمييز مظهران متباينان لتلك الأراضي . إذ عند غرباً سهل واسع أفصح خصب بزروع فيه القمح والشعير . كما تمتد شرقاً جبال صخرية وعرة متألقة من اندفاعات البراكين الحاصدة ، وترتفع فراها أحياناً حتى (١٥٠٠ م - ١٧٠٠ م) . ولا يثمر المر . بهذه الارغاعات ، لأن أراضيها تفلو تدريجياً ، وتسمع فراها أن تنتشر على ارتفاع نحو (١٠٠٠ م) .

وقد بدأت النهضة العمرانية في هذه المنطقة لما أوجد الرومان المقاطعة العربية في زمن الحاكم الروماني (كورنيليوس بلما) الذي عينه الامبراطور تراجان ، سنة (٩٦ م) . واستمرت هذه النهضة في عهد السلالة الامبراطورية الانطونية ، وفي عهد سبتيم - سيفر ، وخاصة في زمن فليب العربي . ثم تزايدت في العهد المسيحي ، حيث كثرت الأبرشيات في حوران منذ عهد الجامع الديونية الأولى ولما حلت العهد العربي الذي بدأ سنة (٦٣٦ م) توقفت هذه الحركة العمرانية نوعاً ما ، إلا أن يصرى وصلحد احتفظنا بأهميتها الاستراتيجية . ويعود عهد معظم أبنيتها العسكرية والدينية العربية إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين .

هذا وقد هجرت المواقع القديمة ، فلم تلبث أبنيتها أن تحولت إلى أطلال .

المواقع الأثرية والأوابد في جبل الدروز

تحتل شيهاء وفنوات مكانة الصدارة بين المواقع الأثرية الكثيرة التي يحويها جبل الدروز . إذ أنه توجد فيها مجموعتان واستتان من الأبنية القديمة . وقد شيد الامبراطور فليب العربي خلال القرن الثالث شيهاء التي كانت تدعى قديماً (فليبيوبوليس) على شكل تخطيط مربع هو شكل المعسكر الروماني . وما زال المر . يشاهد فيها أبواب المدينة القديمة ، وبلاطات شارعها الكبيرين المتعامدين ، ومسرحها الصغير ، وحماماتها ، وبعض أوابدها الأخرى . وقد أخرجت من أرضها ألواح كبيرة من الغنيساء حفظت في متحف السويداء وسنق . أما فنوات التي كانت تدعى (قنطا) قديماً ، فإنها تقوم في موقع ذي تضاريس متعددة وهي محاطة بالأشجار ، وأطلالها ما زالت بحالة جيدة ، ولها تأثير ساحر . ويوجد بينها مدافن عربية ، وعدد مجموعات من الأعمدة كانت واجبات لمابد قديمة ، ثم مجموعة كبرى من الأبنية تدعى « السرايا » وتتألف من أبنية رومانية ومسيحية ، يميز بينها أعمدة على جذوعها مساند كانت لمبد روماني ، ورواق وزنبروم من كتبة ضخمة عيدها القرن الرابع ، وواجهة مزخرفة على شكل غريب لكنيسة أخرى من هذا العصر .

وبعض سكان شيهاء وفنوات الحاليون داخل كثير من هذه الأطلال ، وقد هدموا بعضها واستخدموا أحجارها . ويلاحظ ذلك أيضاً في أكثر المواقع القديمة من جبل الدروز ، لا سيما

في شقا ، ويوجد في هذا الموقع الأخير كنيسة ضخمة ، وقصر له واجهة غربية ، ومنزل له أعمدة . وكلها أبنية غير مألوفة وتقدم لنا نماذج عن كنيسية سبقت ما كن بواسطة المسور الحجرية المرتكزة على حوامل حجرية بارزة ، وهي ميزة من ميزات فن العمارة المحلية . إلا أنه لم يبق شيء يذكر من أوائل مدينته السويداء خضرة جبل القدر . وكذلك قد دال أيضاً معد سبع الكبير ، ويكتفي لأخذ فكرة عن التبدعات الأثرية التي حدثت خلال الحنين السنة الماضية ، أن نقارن بين تلك الأبنية الأثرية الحالية . وبين حالها في صورها في الكتب التي نشرت عنها في أول هذا القرن .

إلا أنه يجب أن نتعرف أن الحكومة السورية اتخذت الآن كل التدابير اللازمة لإيقاف هذه التبدعات . وتقوم مديرية الآثار العامة بالترميمات الناجمة ، كما أن مفتشياً رافيق الأوايد ، ويضعون أيديهم على كل المكتشفات الجديدة ، وكذلك فإن متحف مدينة السويداء ينتعش تبعث وتفرق تلك المكتشفات . وعلى الرغم من ذلك فإن كثرة الآثار القديمة في هذه المنطقة ، وتبعضها ، وصورة الوصول إليها بحمل حمايتها من أصعب الأمور .

كنائس نزرع

ومن اللازم أن نسترعي الانتباه هنا قليلاً إلى كنيسة القديس جرجس ، والقديس هيليا ، ويعود زمن بناء الأولى إلى سنة (٥١٤) ، والثانية إلى سنة (٥٤٢) . وهما مبعثان في تاريخ الفن المسيحي الابتدائي ، وتوجدان اليوم في حالة مؤسفة . إذ أنها ربما ترمية غير نقي . والأمل أن تصلح وأن تعاد إلى حالتها السابقة .

بصرى

استطاعت حضرة المقاطعة العربية الرومانية اليوم إلى قرية صغيرة ، وما يزال المرء يرى فيها آثاراً من تصور القديمة والأزمنة الإسلامية والمسيحية . ولقد الآثار قيمة فنية معمارية كبيرة وهي شاهدة على الذكريات الطويلة التي استلهاها تاريخ هذه المدينة الرائع . ويمكن رؤية أقسام المدينة التي كانت لها في العصر الروماني ومنها الشارع الرئيسي المستقيم ، وعدة أعمدة وأروقة ، وباب المدينة في طرفها الغربي ، وقوس حكيمة ثلاث فتحات وآثار مختلفة من حماماتها ، وأربعة أعمدة كورنية كانت على أكبر الفلن جزءاً من سفاتها .

ومن أشهر أبنيتها الأثرية أيضاً كنائسها التي بناها البطريرك جوليان سنة ٥١٣ . وهي اليوم متخربة جداً . لأنها تعد

يوجدنا من أقدم الخارج عن بناء الكنيسة الكبيرة ذات القبة والمخطط المدرج . وقد أفاد أحد النصوص النقوشة أنه كانت بصرى كنيسة أقدم منها بناها البطريرك أنطيانوس وأعادها إلى المقراء في الربع الثالث من القرن الرابع . وبدا هذا النص على الدور المهم الذي لعبته بصرى في تاريخ المسيحية الأول . كما أنه كانت لهذه المدينة أهمية في فاحصة عهد الإسلام . إذ يقال عن بناء فيها ، له حنية ، وواجهة غير مزيطة ، إنه من بقايا الدبر الذي كان فيه الراهب (بحيرا) الذي حدث الرسول العربي الكريم ﷺ عن رسالته . وقد بني مسجد برك النافق فيها بعد في الموقع الذي قيل عنه إن نافقة محمد عليه السلام بركت فيه . وهو أحد مساجد المدينة العديدة ، وله مثانة عالية مقامة في القرن الثاني عشر على شكل مربع ، وهي تفتح منظر بصرى طامناً خاصاً . ومن مساجد بصرى أيضاً جامع عمر ، وهو كبير ومجاله جيدة ، ومسجد فطمة ، وله مثانة بأبعاد رشيقة جداً . ومن أوائل هذه المدينة أيضاً مدرسة جميلة بجانب جامع برك النافق يقول شهاج . سوفاجية إنها من أقدم مدارس بلاد الشام . وهي تضاف مع هذا المسجد مجموعة بناحية عامة .

ونأسف لما أصاب هذه الأوابد من تهديم منذ فاحصة هذا القرن . والفرق ظاهر بين حالتها اليوم وما كانت عليه لما ظهرت المنشورات النمطية التي أصدرتها البعثات الأثرية الأولى في سورية . وما يزيد سوء حالتها وجود منازل القرية الحديثة بينها ، ويجب أن نخلى هذه المنازل ، كما يجب أن تقوى الأطلال وأن يباد إنشاء ما يمكن إعادة منها . ولا نفلن أن المخطط التنظيمي الجديد الذي صدقته السلطات العامة ، أخذ عين الاعتبار هذه المقننات ، أو أنه ينص على ضرورة تحسين حال أوائل المدينة الرئيسية .

ورام علينا الآن أن نتحدث قليلاً عن المجموعة الأثرية الضخمة المألفة من المسرح الروماني والقلمة العربية . فهاتان العارتان على جبال واحد ، وهما احتان ، ويحدهن منيا خاصة السور المبني في القرن الثالث عشر بأبراجه المربعة ، وصفوف أحجاره ذات الوجوه البارزة . وهو يحيط بالمسرح إحاطة السوار بالمعصر . وهاتان عتابر القاعة المرتفعة على ثلاث طوابق فوق صحن المسرح . وقد قامت مديرية الآثار العامة مؤخراً بأعمال مهمة لأظهار درجات المدرج ، وأبنية منصة التمثيل ، وتعتقد أن عليها أن تخطو خطوة جريئة أخرى وأن تهديم المكعب الضخم الذي على داخل المدرج دون أن يكون له أي شيء من الأهمية ، وعندئذ يمكن

موتاً أن نسي كل من هاتين العبارتين الواحدة إلى الأخرى ، كما هو الأمر حالياً ، يمكنها أن تحسنا معاً ، وإن تقدما مشتركين الزائرين لذة سياحة متقطعة النظير .

ويجب أن نعرف منطقة بصرى وجبل المروز وأن يوجه إليها الدائحون ، سهولة الوصول إليها من دمشق . ويمكن إقامة بيت للسياحة في داخل قلعة بصرى ، كما يمكن أن نحسن شروط الإقامة في السويداء بما يجعل زيارتها سهلة كل سهولة .

إظهار هذه الأبدية القديمة العظيمة إظهاراً تاماً ، وذلك مع المحافظة على الأقسام المهمة من القلعة الإسلامية . وفي الواقع أن مسرح بصرى الروماني هو من أكبر وأجمل ، وأكمل المسارح الرومانية الباقية . وهو يقدم بتركيب قبابه الخفية التي تحمل درجات المدرج ، ووضوح أدراجها الصغيرة التي تصل بين هذه الدرجات ، وبخلاف منعتها البديعة ، صفات خاصة فادرة . كما أن أبراج القلعة المربعة تمتد من أجل آيات من العبارة العسكرية في القرون المتوسطة . لهذا

مصادر مرجعة

- | | |
|--|---|
| ١ - ل. روترو ، ١٩١١ ف و غوليزونكي : المظاهرة القوية ، الجزء الثالث .
جنتامبورغ ، ١٩٠٩ ، بالألمانية . | ج - لافون :
المعهد الأدبي في سوريا - ١٠ - باريس ١٩٤٧
(١ - ١٠ - ١٠ - الجزء الثاني والاربعون) بالألمانية . |
| ٢ - د. ب. :
الجملة الأثرية الأمازيغية السورية ، في ص ١٩٩٩
- ١٩٠٠ - الجزء الأول - من المزارع والقبور
الأخرى - نيويورك ، ١٩٠٠ - بالانكليزية . | ج - د. ماسكل :
جبل المروز ، بيروت ، ١٩٤٤ ، بالألمانية .
رحلة إلى حوران - باريس ، ١٩٠٨ - بالألمانية . |
| ج - د. كروفت :
كنائس بصرى - لوندون ، ١٩٣٣ - بالانكليزية . | ج - د. ر :
حمايات المصالح : بصرى ، الطبعة الثانية دمشق ، ١٩٥٦ ، بالعربية . |
| م - د. م. :
سوريا الوسطى ، من القلاع والمدن والديار ،
جزء ١ ، باريس ١٩٤٦ - ١٩٥٧ - بالألمانية . | د - سورديل :
دقائق حوران في العصر الروماني ، باريس ١٩٥٢ ،
(١ - ١ - ١ - الجزء الثالث والخمسون)
بالألمانية . |
| د - د. :
وف : رحلة أثرية إلى القلاع وجبل المروز ،
باريس ١٩٠٦ - بالألمانية . | |

خاتمة

الكبرى كدمر ودورا مفعولة عن المدن المأهولة بثبات من
الكلومات. وكذلك فإن بعضها الآخر كإطال سورية الشمالية
وجبل القوز كقضية جداً للدرجة يصعب حتى على المختصين
احصائها. وأخيراً فإن قسماً منها كفلاح الصليبيين ضخم للغاية
وتتطلب العناية بها مبالغ باهظة جداً. ويضاف إلى ذلك كله ما نتج
عنه الحفريات، فزيد عدد الأوابد السورية زيادة محسوسة
كل عام.

وقد امتدحتنا مراراً خلال تقريرنا هذه مديرية الآثار العامة
على الشكل الذي استطاعت به أن تهبط بالأعمال الكثيرة الملقاة
على عافها، والثابتة عن المحافظة على الأوابد والمواقع الأثرية،
وعن مراقبتها وتنفيذ برنامج ضخيم للترميمات الأثرية كل سنة،
وتعليم المتاحف، وتشجيع الاكتشافات الأثرية، والتفكيرات
العلمية. وفي الواقع أنها تمكنت بوسائلها الخاصة والمساهمة التي
استطاعت تأمينها أو تشجيعها أن تقوم بعمل يحسد أن توضح قيمته
وأهميته. كما يحسد أن يبين فهم الحكومة السورية التي تقدم
إليها ما تحتاجه.

إن سورية تخصص للعناية بآثارها مبالغ هامة بالنسبة إلى
مواردها، ويبرز ذلك قيمة هذه الآثار، وتفسر هذه القيمة
العظيمة الاهتمام الذي تثيره هذه الآثار في العالم، ورواء الحدود
السورية. كما أنها تجعل سورية رغبة مديرية الآثار العامة أن
تصبح جهودها مفعولة ومدعومة. وقد أشرنا إلى الوسائل التي
يمكن أن تساعدنا في أعمالها.

ومن ذلك الأهمية التي نلقها على الفترات العلمية التي توصف
الأوابد وتشرح خصائصها وأقدم شكل علماء العالم مواضيع قيمة

إن البحث الذي شرحنا عناصره لا يستدعي أية خاصة. إذ
أننا لم نستهدف كما نعت عليه مهمتنا إلا أن نتحدث بحياء ودقة عن
الوضع العام والخامس للأوابد التاريخية والمواقع الأثرية في سورية.
أي أننا حاولنا أن نرسم عنها صورة صادقة كل الصدق.

ومع ذلك فقد توجب أن نلح خاصة على تعدد وتنوع القضايا التي
تضفي حياة الآثار وتحسين أوضاعها أمام سورية، كما يظهر ذلك
في الملاحظات التي أبديناها. وفي الواقع إن هذه القضايا مختلفة
بحسب اختلاف المناطق السورية، وتاريخ الأبنية الأثرية، وطلبات
هذه الأبنية وحالتها الحاضرة، والجو الذي توجد فيه.

في المدن السورية الكبرى التي تتحول وتتمتع بنمو كبير كدمشق
وحلب يمر نوحه الانشاء نحو الأهمية التي تقدمها الأوابد التاريخية
للتجديد الحاضر. ويجب أن تؤخذ الأهمية الدينية لهذه الأوابد
بين الاعتبار في المخططات التنظيمية التي تحاول أن تحافظ عليها وتوجد
سوقاً جيداً ملائماً لها، بعد أن يحسب حساب أبعادها، وسفاتها،
وأصايب بنائها. وفي تكون هذه الأوابد في أية حالة من الحالات
سواء من دون التساع مدينة ماء بل أنها زينات المدن إذا حملت
في منظر الشوارع، وفي بعض معاليلها الثقافية، ومقتضيات
الحياة الحاضرة. ثم أنه يجب العمل على ترك الأوابد ثقافات التي
أثارت من أجلياء أو تخصيصها لثقافات جديدة لا تتناقى مع الثقافات
الأولى بحيث أنه يجب أن يظهر بوضوح لدى كل الناس أنها مازال
وإن كانت منحجرة من الماضي ذات فائدة واضحة. أي أنها يجب أن
تتخذ قسماً بحياة المدينة.

أما خارج المدن فالمصنوعات مثابة عن كثرة الأوابد والمواقع
الأثرية وشدة اختلافها وتوزعها. إذ إن بعض مجموعات الأوابد

للدراسة . وذلك لأن هذه الأوابد تدخل بواسطة هذه الثمرات في كثر الإنسانية الثقافي . ثم انه يجب تعميق فوائد هذه الثمرات وعدم قصرها فقط على عدد صغير من المختصين ، بل السعي الى إيفاء اهتمام الجماهير الواسعة عن طريق إصدار كتب متنوعة تلمح فيها خصائص الأبنية الأثرية . وعن طريق إقامة المعارض ، والقاء المحاضرات ، وإيجاد المتروى الأثرية اللازمة في المدارس . ثم انه يحضر القيام في خلع سورية بدعاية ذكية قادرة على توجيه حركة السياحة نحو المناطق الأثرية السورية فيبدها من كل النواحي . وقد أشرنا أيضاً الى القوائد التي يمكن أن تتجمع عن فائض لجان تكون مبعثها في دمشق وحلب ، نصح السلطات في قضايا العمران .

وأخيراً يمكن أن توجه بعثات دولية من الخبراء وخبرة المهندسين المرممين ، للدراسة تفصيل متاويل أعمال ترميم وتحسين الأبنية الأثرية الشخصية والمعمورة ، وذلك بالتعاون مع مديرية الآثار المسماة . وأخيراً قلنا انكون سعداء ، اذا كان عملنا مفيداً ، والمعلومات التي قلنا اليها تحققة قدرة على المساعدة في التعرف بثروات سورية الفنية والأثرية ، وفي تقدير هذه الثروات سواء أكان ذلك في سورية أو في البلاد الأخرى ، وفي تقديم بعض النصائح الى مديرية الآثار العامة التي تعمل بمجد لا تقا الأوابد التاريخية ولدراساتها . ونتمنى أن تتضمن ما كتبنا إمكانية بحث مساهمات خبصة في هذا المجال .





١ - قاعة الأعمدة الأولى في المسجد الكبير
٢ - قاعة الأعمدة الثانية في المسجد الكبير
٣ - قاعة الأعمدة الثالثة في المسجد الكبير
٤ - قاعة الأعمدة الرابعة في المسجد الكبير
٥ - قاعة الأعمدة الخامسة في المسجد الكبير



- ١ - دمشق : مقبرة الباب الصغير .
 ٢ - : جامع درويش باشا .
 ٣ - : المدرسة الصابونية (١٤٩٤) .
 ٤ - : المدرسة الركنية (١٢٢٤) .



- ١٠ - صفاقس : جامع الخليلي (القرن الرابع عشر - الخامس عشر)
 ١١ - تونس : جامع الخليلي (القرن الرابع عشر - الخامس عشر)
 ١٢ - تونس : جامع الخليلي (القرن الرابع عشر - الخامس عشر)
 ١٣ - تونس : جامع الخليلي (القرن الرابع عشر - الخامس عشر)
 ١٤ - تونس : جامع الخليلي (القرن الرابع عشر - الخامس عشر)
 ١٥ - تونس : جامع الخليلي (القرن الرابع عشر - الخامس عشر)



٧٠



٧١



٧٢

١٠٠ - جامع النخلة - دمشق - سوريا

١٠١ - جامع النخلة - دمشق - سوريا

١٠٢ - جامع النخلة - دمشق - سوريا



- ۳۳ - جالب : میدان القادریه ،
 ۳۴ - : میدان آرمینو ،
 ۳۵ - : جالب آرمینو ،
 ۳۶ - : مکان آرمینو ،





٣٠ - قصر الملك النعمان في دمشق
 ٣١ - القصر في دمشق
 ٣٢ - القصر في دمشق



۳۳



۳۴

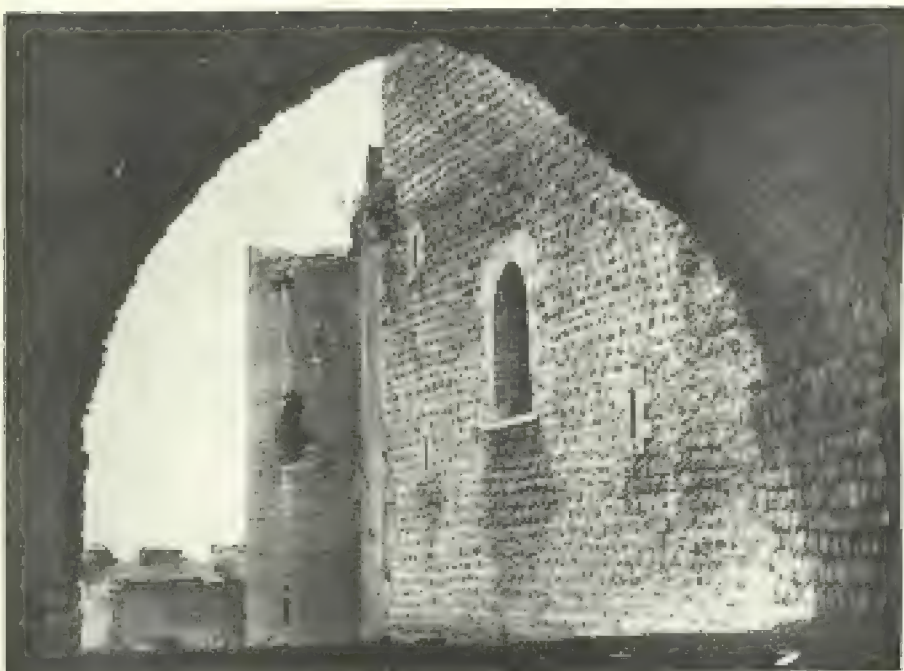


۳۵

۳۳ - دروازه ورودی و خروجی و قلعه جوی.
 ۳۴ - دروازه ورودی و خروجی و قلعه جوی.
 ۳۵ - دروازه ورودی و خروجی و قلعه جوی.



١٠٠ - حائط الجليلي في القدس .
 ١٠١ - حائط حارس : داخل الزكوة في القدس .
 ١٠٢ - حائط : حائط القدس .
 ١٠٣ - حائط القدس : حائط القدس .



١٤٠ - قلعة الشرف : منظر جوي .
 ١٤١ - القلعة : منظر جوي .
 ١٤٢ - برج منقوش : منظر جوي .



17



18



19

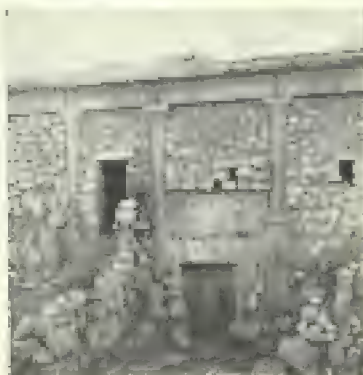
GAVAT SIM'AN
and
DUBI HADSA

20



GAVAT SIM'AN
End of 9th Century

- 21 - Gavat Sim'an, plan of the church.
- 22 - Gavat Sim'an, plan of the church.
- 23 - Gavat Sim'an, plan of the church.
- 24 - Gavat Sim'an, plan of the church.
- 25 - Gavat Sim'an, plan of the church.



- ١٠ - مبنى بيت الله الحرام
 ١١ - القوس المعلقة : الوسط الذي في التمام
 ١٢ - قبة المرقاة : (مخروطة المكنسة)
 ١٣ - رواق الرواق الذي في سنة (١٩٥٠)
 ١٤ - القوس المعلقة في سنة (١٩٥٠)



- ٥٦ - باب الروقة : الكوفة .
 ٥٧ - بامبرقا : دار الشريعة .
 ٥٨ - البصرة : جامع .



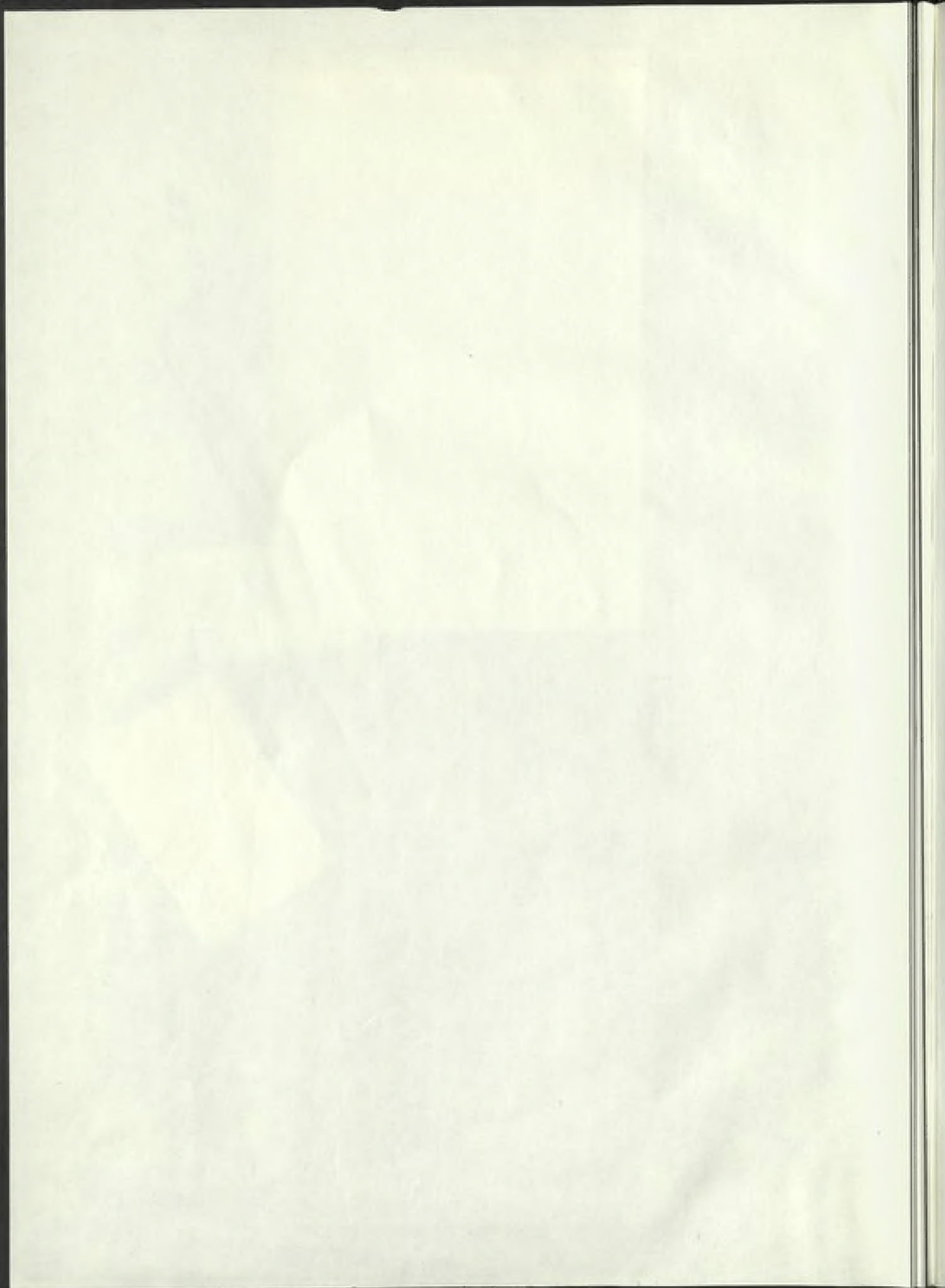
- ٤٤ - بقرى : القلعة والبرج ، منظر جوي .
 ٤٥ - د : داخل البرج .
 ٤٦ - د : داخل القلعة .



١- منظر من أحد أجنحة المتحف
٢- منظر من أحد أجنحة المتحف
٣- منظر من أحد أجنحة المتحف
٤- منظر من أحد أجنحة المتحف







[illegible]

SAFETY LIB.
NOV 1994

NOV 1994

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00318242

F
913.394
US8sA
C.2

F
913.394
U585A
c.2